

فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ

سورة البقرة من خلال فوائد استنبطها

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

ح نايف عبدالله الملا، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الملا، نايف عبدالله

فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ سِوَرَةُ الْبَقْرَةِ مِنْ خِلَالِ فَوَائِدِ اسْتَنْبَطِهَا الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ

ص: ٢٣٦؛ سم: ١٧ × ٢٤

ردمك: ٢-٠٥٦٩-٠٥-٠٥٣-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢٠٤٢٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م

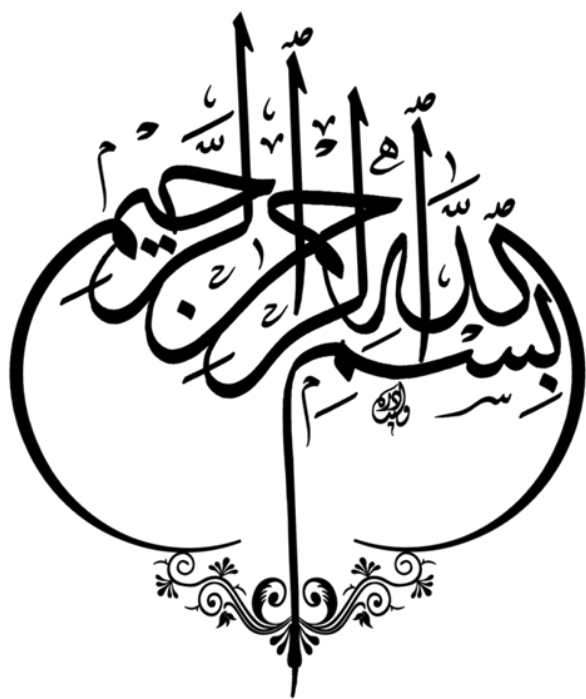
فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ

سورة البقرة من خلال فوائد استنبطها

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

إعداد:

نايف بن عبدالله الملا



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

[الفاتحة: ١-٧]

إهداء

إلى أمِّي الغالية .. وإلى والدي العزيز ..

من ابنكم الذي حُقِّم عليه البرّ،

ولم تجدوا منه إلاّ التّقصير ..

مَقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَنْ أُرْسِلَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا بِالْجَنَّةِ وَنَذِيرًا
مِنَ النَّارِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وَبَعْد..

لَا شَكَّ أَنَّ الْأُسْرَةَ الْمُسْلِمَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهَا أَنْ تَعِيشَ فِي هَذَا الزَّمَنِ تَوَاجُهُ
تَحْدِثَاتٌ كَبِيرَةٌ فِي سَبِيلِ الْمَحَافَظَةِ عَلَى قِيَمِهَا الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ؛ مِمَّا يَجْعَلُهَا فِي
حَاجَةٍ مَاسَّةٍ لَطُوقِ نَجَاةٍ يَكُونُ سَبَبًا فِي حِفْظِ دِينِهَا مِنْ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ،
فَمَا هُوَ الْمَلْجَأُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَلَاذِ الَّذِي يَلُودُ بِهِ الْمُسْلِمَ لِيُحَصِّنَ إِيمَانَهُ وَيُثَبِّتَ عَلَى
الدِّينِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ؟

لَعَلَّ مَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُجِيبُ عَنْ هَذَا
السُّؤَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ بِالنَّاسِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «تَرَكْتُ
فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ»^(١). وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ
حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ
أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ،

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبْعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي
وَعَمِّي»^(١).

وقد وَرَدَ عن الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ
وَفَضْلِ قِرَائَتِهِ وَحَاجَةِ الْمُسْلِمِ لِلْإِعْتِصَامِ بِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَا بَشَّرَ بِهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَيُنْجُو مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ -أَعَاذَنَا اللهُ
مِنْهَا-، وَمِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، حَدِيثٌ يَجِدُ فِيهِ الْمُسْلِمُ مَعَانِيَ النَّصْحِ وَالرَّحْمَةِ،
وهو ما وَرَدَ عن أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ؛ الْبَقْرَةَ،
وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ،
أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ،
فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»^(٢). يُرْشِدُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى أَهْمِيَّةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَمُومًا وَعَلَى قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ
خُصُوصًا؛ وَهَذَا التَّخْصِيسُ -الْمُتَمَثِّلُ أَوَّلًا بِكُونِهَا جُزْءًا مِنَ «الْقُرْآنِ» الَّذِي أُرْشِدُ
إِلَى قِرَائَتِهِ، وَثَانِيًا بِكُونِهَا أَحَدَ «الزَّهْرَاوِينَ»، وَأَخِيرًا بِالتَّأَكِيدِ عَلَيْهَا بِالاسْمِ
مُفْرَدَةً- يُعْطِيهَا مَكَانَةً خَاصَّةً يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهَا. وَهَذَا الْوَصْفُ الَّذِي وَصَفَهَا بِهِ مِنْ
أَوْتِي جَوَامِعِ الْكَلِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِأَنَّ «أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ»-
وَصِفٌ مُخْتَصَرٌ اللَّفْظِ بَلِيغٌ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ «بَرَكَةً» نَكْرَةٌ مُطْلَقَةٌ؛ غَيْرُ مُقَيَّدَةٌ بِوَصْفِ

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

أو سياق محدد؛ فتعمُّ بركتها كل شيء، وقول من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم «تركها حسرة» يُشعر أن من لا يقرأها يفوته من بركتها بعدم قراءته لها ما «يتحسّر» على فواته لو علمه! ومن الأحاديث التي وردت في فضل هذه السورة ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(١)، وهذا يوضح سبب عجز «البطلة» - وهم السحرة^(٢) - عنها؛ فعمل السحرة - كما هو معلوم - يقوم على الشياطين.

العمل الذي بين يديك:

يُنحصر دورُ كاتب هذه الكلمات في هذا العمل على جمع وترتيب المادة التي تعتمدُ بشكلٍ شبه كامل على تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لسورة البقرة^(٣). وما في الهوامش من تخريج للأحاديث هو نقلٌ مختصر من الأصل^(٤) يُركّز على رقم الحديث في المصدر، وعلى ما يشير إلى درجته من حيث الصحة.

تم تقسيم آيات سورة البقرة هنا بناءً على وحدتها الموضوعية وفقاً للتقسيم الموضوعي المعتمد في «التفسير المحرر للقرآن الكريم»^(٥)، وبعد كل مقطع من

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٢) قال معاوية بن سلام (أحد رواة الحديث): بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحْرَةَ.

(٣) تفسير القرآن الكريم: الفاتحة - البقرة، لابن عثيمين، ط دار ابن الجوزي، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

(٤) المقصود بالأصل هنا: «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: الفاتحة - البقرة».

(٥) التفسير المحرر للقرآن الكريم: الفاتحة - البقرة، إعداد: القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، وإشراف: الشيخ علوي السقاف.

الآيات، تم تضمين عدّة فوائد استنبطها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الآيات، ورُوعِي في الاختيار أهمّيّتها لعموم المسلمين مع تنوع موضوعاتها بين ما هو عقدي، وفقهي، وتربوي، وهذه الفوائد المختارة قد لا تتجاوز نسبتها ٢٥٪ من عدد الفوائد التي ذكرها الشيخ في تفسيره للسورة، وفي شرح «غريب الكلمات»، تم الاعتماد على ما جاء في شرحها في «المختصر في تفسير القرآن الكريم»^(١) «مُشار له في الهامش بـ «المختصر»».

ويقوم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بِذكر هذه الفوائد بعد انتهائه من تفسير الآيات، وطريقته في هذا أنه يبدأ بِذكر الفائدة بشكل مُجَمَل (تم تمييز هذا الجزء من الفائدة بلون مختلف هنا) ثم يقوم بشرحها بالتفصيل، ويقوم في هذا الشرح بتحديد موضع الشاهد الخاص بالفائدة من الآية، وكيف تم استنتاجها. وتختلف الفوائد من ناحية وضوح الشاهد من الآية وظهور علاقة الفائدة به؛ وبناءً على ذلك، فقد تمّ تقسيم الفوائد هنا إلى مجموعتين:

١ - مجموعة (أ): تكون الفائدة من ضمن هذه المجموعة في حال وضوح الشاهد وظهور علاقة الفائدة المباشرة به؛ ويكتفي الشيخ في هذه الحال بذكر الشاهد من الآية في أغلب فوائد هذا القسم، وأحياناً يكتفي بذكر الفائدة ولا يذكر موضع الشاهد من الآية لوضوحه.

٢ - مجموعة (ب): تكون الفائدة من ضمن هذه المجموعة في حال كان الأمر يحتاج إلى توضيح العلاقة بين الفائدة وموضع الشاهد؛ وفي هذه الحال

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

يشرح الشيخ العلاقة ويوضح الرابط بينهما وكيف تم الوصول للفائدة من هذا الموضوع المحدد من الآية بطريقة تحليلية استنتاجية يظهر من خلالها وبوضوح مكانة الشيخ العلمية.



فإن أصبت، فمن الله، وإن أخطأت، فمن نفسي والشيطان ..

نايف بن عبدالله الملا

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

naifaalmulla@gmail.com

الآيات (٥-١)

﴿الْم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقِينًا؛** لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.
٢. **أَنَّ الْمَهْتَدِي بِهَذَا الْقُرْآنِ هُمُ الْمُتَّقُونَ؛** فكلُّ من كان أتقى لله كان أقوى اهتداءً بالقرآن الكريم؛ لأنَّه علَّق الهدى بوصف؛ والحكم إذا علَّق بوصف كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلَّق عليه؛ لأنَّ الوصف عبارة عن عِلَّة؛ وكلِّما قويت العِلَّة قويت المعلول.
٣. **أَنَّ مِنْ أَوْصَافِ الْمُتَّقِينَ «الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ»؛** لأنَّ الإيمان بالمُشَاهِد المحسوس ليس بإيمان؛ لأنَّ المحسوس لا يمكن إنكاره.
٤. **أَنَّ صِدْقَةَ الْغَاصِبِ بَاطِلَةٌ؛** لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾؛ لأنَّ الغاصب لا يملك المال الذي تصدَّق به، فلا تُقبل صدقته.

(١) غريب الكلمات: «لا ريب فيه»: لا شك فيه. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/ ٢٨).

٥. **أَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ تَكُونُ خَاصَّةً وَعَامَّةً؛** وقد اجتمعا في قوله تعالى عن سَحْرَةِ فرعون: ﴿قَالُوا يَا أُمَّنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢].
٦. **أَنَّ مَالَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْفَلَاحِ؛** لقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.
- مجموعة (ب):

١. **بَيَانُ عُلُوِّ الْقُرْآنِ؛** لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ فالإشارة بالبُعد تُفيدُ علوَّ مرتبته؛ وإذا كان القرآن عالي المكانة والمنزلة، فلا بدَّ أن يعود ذلك على المُتمسِّك به بالعلوِّ والرفعة؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ وكذلك ما وُصِفَ به القرآن من الكرم، والمدح، والعِظَم، فهو وصفٌ أيضاً لمن تمسَّك به.

٢. **ذَمُّ الْبُخْلِ؛** ووجهه أنَّ الله مدح المنفقين؛ فإذا لم يكن إنفاق، فلا مدح؛ والبخل خُلِقَ ذمِّم حَذَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْهُ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ.

تنبيه: لم يذكر الله الإنفاق أين يكون؛ لكنه تعالى ذكر في آيات أخرى أنَّ الإنفاق الممدوح ما كان في سبيل الله من غير إسرافٍ ولا تقتير، كما قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].



الآيات (٦-٧)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم حين يرثه الكفار ولا يقبلون دعوته.
٢. أن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن مهما كان المنذر والداعي؛ لأنه لا يستفيد - قد ختم الله على قلبه -، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿أَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١١﴾﴾ [الزمر]؛ يعني هؤلاء لهم النار؛ انتهى أمرهم، ولا يمكن أن تُنقذهم.

٣. أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعدة ولا بالإقبال على الله تعالى، فإن فيه شبهة من الكفار الذين لا يتعظون بالمواعظ ولا يؤمنون عند الدعوة إلى الله.

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣٨ / ١).

مجموعة (ب):

١. أَنَّ طُرُقَ الْهَدْيِ إِمَّا بِالسَّمْعِ وَإِمَّا بِالْبَصَرِ: لِأَنَّ الْهَدْيَ قَدْ يَكُونُ بِالسَّمْعِ وَقَدْ

يَكُونُ بِالْبَصَرِ؛ بِالسَّمْعِ فِيمَا يُقَالُ؛ وَبِالْبَصَرِ فِيمَا يُشَاهَدُ؛ وَهَكَذَا آيَاتُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ

تَكُونُ مَقْرُوءَةً مَسْمُوعَةً؛ وَتَكُونُ بَيِّنَةً مَشْهُودَةً.



الآيات (٨-٣٠)

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ
مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
أَسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾
صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌّ يُجْعَلُونَ
أَصْبِحَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (١)

من فوائد الآيات ^(١):

مجموعة (أ):

١. **أَنَّ الْقَوْلَ بِاللِّسَانِ لَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ؛** لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

٢. **مَكْرُ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ؛** لقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾؛ ولهذا قال الله تعالى في سورة المنافقين: ﴿هُمُ الْعَادُوْنَ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛ فَحَصَرَ الْعَدَاوَةَ فِيهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ مُخَادِعُونَ.

٣. **أَنَّ الْمَكْرَ السَّيِّئَ لَا يَحِيقُ إِلَّا بِأَهْلِهِ؛** فهم يُخَادِعُونَ اللَّهَ، وَيظنون أَنَّهُمْ قَدْ نَجَحُوا أَوْ غَلَبُوا؛ وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الْخِدَاعَ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾؛ فَالْحَصْرُ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ خِدَاعَهُمْ هَذَا لَا يَضُرُّ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، وَلَا رَسُولَهُ، وَلَا الْمُؤْمِنِينَ.

٤. **أَنَّ الْعُقُوبَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ؛** أَي أَنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبٍ؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

٥. **أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَن ادَّعَى شَيْئًا يُصَدِّقُ فِي دَعْوَاهُ؛** لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، وَلَيْسَ كُلُّ مَا رَزَيْتَهُ النَّفْسُ يَكُونُ حَسَنًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ رَزَيْنَا لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣٩ / ١).

٦. **أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُتْلَى بِالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَيَخْفَى عَلَيْهِ فِسَادُهُ؛** لقوله

تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٧. **أَنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ يَصِفُونَ أَوْلِيَاءَهُ بِمَا يُوجِبُ التَّنْفِيرَ عَنْهُمْ؛** لقولهم: ﴿أَتُؤْمِنُ

كَمَا ءَأَمَنَ السُّفَهَاءُ﴾؛ فأعداء الله، في كل زمان وفي كل مكان، يصفون أولياء الله بما يوجب التنفير عنهم؛ فالرُّسل وَصَفَهُمْ قَوْمُهُم بِالْجُنُونِ، وَالسَّحَرِ، وَالْكُهَانَةِ، وَالشَّعْرِ، تَنْفِيرًا عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]؛ وورثة الأنبياء مثلهم؛ يجعل الله لهم أعداء من المجرمين؛ ولكن ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]؛ فمهما بلغوا من الأساليب، فإنَّ الله إذا أراد هداية أحد فلا يمنعه إضلال هؤلاء؛ لأنَّ أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مسلكين؛ مسلك الإضلال والدعاية الباطلة في كل زمان ومكان؛ ثم مسلك السلاح؛ أي المجابهة المسلحة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هَادِيًا﴾ في مقابل المسلك الأول الذي هو الإضلال؛ وهو الذي نسميه الآن بالأفكار المنحرفة وتضليل الأمة والتلبس على عقول أبنائها، وقال تعالى: ﴿وَنَصِيرًا﴾ في مقابل المسلك الثاني؛ وهو المجابهة المسلحة.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ أَسْبَابَ إِضْلَالِ اللَّهِ الْعَبْدَ هُوَ مِنَ الْعَبْدِ؛** لقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا﴾، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[الأنعام: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُونِهِمْ﴾
[المائدة: ٤٩].

٢. أَنَّ الْمَعَاصِي وَالْفُسُوقَ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ، كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛
لقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾؛ والزيادة لا تُعْقَلُ إِلَّا فِي مَقَابِلَةِ النِّقْصِ؛
فكما أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ والمرض يزداد وينقص.

٣. أَنَّ الْحِكْمَةَ كُلَّ الْحِكْمَةِ إِنَّمَا هِيَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ؛ لِأَنَّ
الْكَافِرَ الْمَخَالَفَ لِلشَّرِيعَةِ سَفِيهًا؛ فيقتضي أَنَّ ضِدَّهُ يَكُونُ حَكِيمًا رَشِيدًا.



الآيات (٢١-٢٥)

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. إثبات الأسباب؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِءَ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾.
٢. أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مُنْعِمٌ عَلَى الْإِنْسَانِ كَافِرًا كَانَ أَوْ مُؤْمِنًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾، وهو يخاطب في الأول النَّاسَ عموماً؛ لكن فضلُ الله على المؤمن دائمٌ متَّصلٌ بفضل الآخرة، وفضلُ الله على الكافر منقطع بانقطاعه من الدنيا.
٣. فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لوصفه بالعبودية؛ والعبودية لله

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١ / ٧٤).

عَزَّجَلَّ هِيَ غَايَةُ الْحَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُعْبُدِ اللَّهَ فَلَا بَدَّ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرَهُ؛ فَإِذَا لَمْ يُعْبُدِ اللَّهَ عَزَّجَلَّ -الذي هو مستحق للعبادة- عَبَدَ الشَّيْطَانَ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النُّونِيَّةِ:

هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ وَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
 ٤. **مَشْرُوعِيَّةٌ تَبَشِيرُ الْإِنْسَانِ بِمَا يَسِرُّ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وَلِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْهُمْ بِأَسْحَابٍ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافَاتِ: ١١٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْهُمْ بِعَلَمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٢٨]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصَّافَاتِ: ١٠١]؛ فَالْبَشِيرَةُ بِمَا يَسِرُّ الْإِنْسَانُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَلْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُبَشِّرَهُ بِمَوَاسِمِ الْعِبَادَةِ، كَمَا لَوْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَقُلْتَ: «هَذَا اللَّهُ هَذَا الشَّهْرُ؟» الْجَوَابُ: نَعَمْ؛ وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَوْ أْتَمَّ الصَّوْمَ، فَقُلْتَ: «هَذَا اللَّهُ هَذَا الْعِيدُ» وَ«تَقَبَّلْ مِنْكَ عِبَادَتَكَ» وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ السَّلَفِ.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ وَجوبَ الْعِبَادَةِ عَلَيْنَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الشَّرْعِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾؛ فَإِنَّ الرَّبَّ عَزَّجَلَّ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلَا يُعْبَدُ غَيْرُهُ؛ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَمْتَثِلُوا هَذَا الْأَمْرَ، إِذَا أَصَابَتْهُمْ ضُرَاءٌ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوِجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [الْقَمَانِ: ٣٢]؛ لِأَنَّ فِطْرَهُمْ تَحْوِيلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا بَدَّ.

٢. أن التقوى مرتبة عالية لا ينالها كل أحد؛ إلا من أخلص العبادة لله عزَّجَل؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٣. حكمة الله سبحانه وتعالى ورحمته بإنزال المطر من السماء؛ وجه ذلك: لو كان الماء الذي تحيا به الأرض يجري على الأرض لأضرَّ الناس؛ ولو كان يجري على الأرض لحرم منه أراضٍ كثيرة -الأراضي المرتفعة لا يأتيها شيء-؛ ولكن من نعمة الله أن ينزل من السماء. ثم هناك شيء آخر أيضاً: أنه ينزل رذاذاً -يعني قطرة قطرة-؛ ولو نزل كأفواه القرب لأضرَّ بالناس.

٤. أن الأسباب لا تكون مؤثرة إلا بإرادة الله عزَّجَل؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ

بِهِ



الآيات (٢٦-٢٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. **أن البعوضة من أحقر المخلوقات؛** لقوله تعالى: ﴿بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ ومع كونها من أحقر المخلوقات فإنها تقض مضاجع الجبابرة؛ وربما تهلك؛ لو سُلِّطت على الإنسان لأهلكته وهي هذه الحشرة الصغيرة المهينة.
٢. **فضيلة الإيمان، وأن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عز وجل بعقله؛** لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، ولا

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٩٦).

يعترضون، ولا يقولون: لِمَ؟ ولا: كيف؟ يقولون: سمعنا، وأطعنا، وصدّقنا؛ لأنهم يؤمنون بأن الله عَزَّجَلَّ لَهُ الحكمة البالغة فيما شَرَعَ وفيما قَدَّر.

٣. **أَنْ نَقُضَ عَهْدَ اللَّهِ مِنَ «الْفُسُقِ»؛** لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؛ فكلّما رأيتَ شخصاً قد فرّط في واجب أو فعلَ محرّماً، فإنّ هذا نقضٌ للعهد من بعد الميثاق.

٤. **أَنَّ المعاصي والفسوق سَبَبٌ للفساد في الأرض،** كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]؛ ولهذا إذا قَحَطَ المطر وأجذبت الأرض، ورجع الناس إلى ربّهم، وأقاموا صلاة الاستسقاء، وتضرّعوا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتابوا إليه، أغاثهم الله عَزَّجَلَّ، وقد قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئَ وَيَجْعَلَ لَكُم مَجَازٍ ﴿١٢﴾ وَيَجْعَلَ لَكُم مَنَازِلَ ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فإن قال قائل: أليس يوجد في الأرض من هم صلحاء قائمون بأمر الله مؤدّون لحقوق عباد الله، ومع ذلك نجد الفساد في الأرض؟

فالجواب: أنّ هذا الإيراد أوردته أمّ المؤمنين زينب رضي الله عنها على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال: «ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب» قالت: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، إذا كثر الخبث»^(١)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كثر الخبث» يشمل معنيين:

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

أحدهما: أن يكثر الخُبْثُ في العاملين؛ بحيث يكون عامَّةُ الناس على هذا الوصف.

والثاني: أن يكثر فعل الخُبْثِ بأنواعه من فئة قليلة، لكن لا تقوم الفئة الصالحة بإنكاره؛ فمثلاً إذا كَثُرَ الكفار في أرض كان ذلك سبباً للشر والبلاء؛ لأنَّ الكفار نَجَسَ؛ فكثرتهم كثرة خُبْثٍ؛ وإذا كثرت أفعال المعاصي كان ذلك سبباً أيضاً للشر والبلاء؛ لأنَّ المعاصي خُبْثٌ.

٥. **أنَّ الموت يُطلق على ما لا روح فيه - وإن لم تسبقه حياة-؛ يعني: لا يُشترطُ للوصف بالموت تقدُّم الحياة؛** لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾؛ أمَّا ظنُّ بعض الناس أنه لا يُقال: «ميت» إلا لمن سبقت حياته؛ فهذا ليس بصحيح؛ بل إنَّ الله تعالى أطلق وصف الموت على الجمادات؛ قال تعالى في الأصنام: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١].

مجموعة (ب):

١. **إثباتُ «الحياة» لله عَزَّجَلَّ؛** لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾؛ ووجه الدلالة: أنَّ نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليلٌ على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يُرُدَّهُمَا صَفْرًا»^(١)؛ والحياةُ الثابتة لله ليس كحياة المخلوق؛ لأنَّ حياة المخلوق انكسارٌ لما يَدَهُمُ الإنسان ويعجز عن مقاومته؛ فتجده ينكسر، ولا يتكلم، أو لا يفعل الشيء الذي يُستحي منه؛ وهو صفة ضعف ونقص إذا حصل في غير محلِّه.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، وقال الألباني: صحيح.

٢. **أنَّ القياس حُجَّةٌ؛** لأنَّ كلَّ مثلِ ضَرْبِهِ اللهُ في القرآن فهو دليلٌ على ثبوت القياس.

٣. **أنَّ الأصل في كلِّ ما في الأرض الحِلُّ -** من أشجار، ومياه، وثمار، وحيوان، وغير ذلك-؛ وهذه قاعدةٌ عظيمةٌ؛ وبناءً على هذا لو أنَّ إنساناً أكل شيئاً من الأشجار، فقال له بعض الناس: «هذا حرام»؛ فالمُحرَّم يُطالب بالدليل؛ ولو أنَّ إنساناً وجدَ طائراً يطير، فرماه وأصابه ومات، وأكله، فقال له الآخر: «هذا حرام»؛ فالمُحرَّم يُطالب بالدليل؛ ولهذا لا يَحْرُم شيءٌ في الأرض إلا ما قام عليه الدليل.



الآيات (٣٠-٣٣)

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. إثبات القول لله عزَّ وجلَّ، وأنه بحرف، وصوت؛ وهذا مذهب السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأئمة الهدى من بعدهم؛ يُؤخذ كونه بحرف من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ لأن هذه حروف؛ ويُؤخذ كونه بصوت من أنه يخاطب الملائكة بما يسمعون.

٢. بيان أن الله تعالى قد يمن على بعض عباده بعلم لا يعلمه الآخرون؛ وجهه: أن الله علَّم آدم أسماء مسميات كانت حاضرة، والملائكة تجهل ذلك.

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/١١٦).

٣. **أن الملائكة تتكلم؛** لقوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿٣٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

٤. **أن الملائكة لها إرادات تبتدى وتكتم؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

مجموعة (ب):

١. **أن الملائكة ذوو عقول؛** وجهه: أن الله تعالى وجهه إليهم الخطاب،

وأجابوا؛ ولا يمكن أن يُوجَّه الخطاب إلا إلى من يعقله؛ ولا يمكن أن يجيبه إلا

من يعقل الكلام والجواب عليه؛ وإنما نبَّهنا على ذلك؛ لأنَّ بعض أهل الزيغ

قالوا: إنَّ الملائكة ليسوا عقلاء.

٢. **كراهة الملائكة للإفساد في الأرض؛** لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

٣. **أن اللغات توقيفية، وليست تجريبية؛** «توقيفية» بمعنى أن الله هو

الذي علَّم الناس إياها؛ ولولا تعليم الله الناس إياها ما فهموها، وقيل: إنها

«تجريبية» بمعنى أن الناس كَوَّنوا هذه الحروف والأصوات من التجارب،

فصارَ الإنسان أولاً أبكَّم لا يدري ماذا يتكلم، لكن يسمع صوت الرعد،

يسمع حفيف الأشجار، يسمع صوت الماء وهو يسبح على الأرض، وما

أشبه ذلك؛ فاتَّخذ ممَّا يسمع أصواتاً تدلُّ على مُرادِهِ؛ ولكن هذا غير

صحيح؛ والصواب أن اللغات مبدؤها توقيفي؛ وكثيرٌ منها كَسْبِي تجريبي

يعرفه الناس من مُجربيات الأحداث؛ ولذلك تجد أن أشياء تحدث ليس لها

أسماء من قبل، ثم يُحَدِّثُ النَّاسَ لَهَا أَسْمَاءً؛ إِمَّا مِنَ التَّجَارِبِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

٤. أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امْتَثَلَ وَأَطَاعَ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾؛ وَلِهَذَا طَوَى قَوْلَهُ: «فَأَنْبَأَهُمْ» إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ بَادَرَ وَأَنْبَأَ الْمَلَائِكَةَ.



الآيات (٣٤-٣٩)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾
 وَفَلْنَا يَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
 فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
 عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ
 التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا اهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. أَنَّ النِّكَاحَ سُنَّةٌ قَدِيمَةٌ مِّنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ، وَبَقِيَتْ فِي بَنِيهِ مِنَ الرُّسُلِ
 وَالْأَنْبِيَاءِ، وَمَنْ دُونِهِمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا
 لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]؛ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: زَوْجَتُهُ بِنْتُ مَنْ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهَا
 خُلِقَتْ مِنْ ضُلْعِهِ؛ فَإِنْ قَالَ: إِذَا تَكُونُ بِنْتًا لَهُ، فَكَيْفَ يَتَزَوَّجُ ابْنَتَهُ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ
 اللهُ تَعَالَى أَنْ يَحْكُمَ بِمَا يَشَاءُ؛ فَكَمَا أَبَاحَ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْأَخُ اخْتَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ الْأَوَّلِينَ؛
 فَكَذَلِكَ أَبَاحَ أَنْ يَتَزَوَّجَ آدَمُ مِنْ خَلْقِهَا اللهُ مِنْ ضُلْعِهِ.

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/١٢٦).

٢. أَنَّهُ قَدْ يُنْهَى عَنْ قُرْبَانِ الشَّيْءِ وَالْمَرَادِ النَّهْيُ عَنْ فِعْلِهِ؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: الْمَرَادُ، لَا تَأْكُلَا مِنْهَا، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْقُرْبُ مِنْهَا قَدْ يُوَدِّي إِلَى الْأَكْلِ مِنْهَا نُهِيَ عَنْ قُرْبِهَا.

٣. إِثْبَاتُ الْأَسْبَابِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٤. أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ وَقَدْ صَرَّحَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

٥. أَنَّ الْجَنَّةَ فِي مَكَانٍ عَالٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْبِطُوا﴾؛ وَالْهَبُوطُ يَكُونُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ.

٦. أَنَّهُ لَا دَوَامَ لِبَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

٧. أَنَّهُ لَا يُتَعَبَّدُ لِلَّهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

مجموعة (ب):

١. أَنَّ «الْأَمْرَ» يَأْتِي لِلإِبَاحَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّا مَنَهَا﴾؛ فَإِنَّ هَذِهِ لِلإِبَاحَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: خَيْرُهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْ أَيِّ مَكَانٍ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ يَأْتِي لِلإِبَاحَةِ؛ وَلَكِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنَّهُ لِلطَّلَبِ، حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ أَنَّهُ لِلإِبَاحَةِ.

٢. أَنَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى ظَلَمٌ لِلنَّفْسِ، وَعَدْوَانٌ عَلَيْهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٣. أَنَّ مِنْ تَعَبَّدَ لِلَّهِ بِغَيْرِ مَا شَرَعَ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ هَدًى؛ فَيَكُونُ ضَالًّا كَمَا شَهِدَتْ بِذَلِكَ السَّنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ يَقُولُ: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(١).



(١) أخرجه النسائي (١٥٧٩)، وقال الألباني: صحيح.

الآيات (٤٠-٤٦)

﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. أن تذكير العبد بنعمة الله عليه أَدْعَى لقبوله الحق، وأقوَمٌ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ لقوله تعالى: ﴿أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ فهل هذا من وسائل الدعوة إلى الله؛ بمعنى أننا إذا أردنا أن ندعو شخصاً نذكره بالنعم؟
فالجواب: نعم، نذكره بالنعم؛ لأنَّ هذا أَدْعَى لقبول الحق، وأدعى لكونه يحب الله عَزَّجَلَّ؛ ومحبةُ الله تحمِلُ العبد على أن يقوم بطاعته.
٢. وجوبُ الوفاء بالنَّذر؛ لأنَّ الناذر معاهدُ الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَبْنَءَاتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥].

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/١٤٢).

٣. **أنه يجب على بني إسرائيل أن يؤمنوا بالقرآن الذي جاء به محمدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا آتَيْنَاكَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُ﴾.**

٤. **أن شرائع الله من آياته؛ لما تضمنته من العدل والإصلاح؛ بخلاف ما يسنه البشر من الأنظمة والقوانين فإنه ناقص:**

أولاً: **لِنَقْصِ عِلْمِ الْبَشَرِ وَعَدَمِ إِحَاطَتِهِمْ بِمَا يُصْلِحُ الْخَلْقَ.**

ثانياً: **لِخَفَاءِ الْمَصَالِحِ عَلَيْهِمْ: فَقَدْ يَظُنُّ مَا لَيْسَ بِمُصْلِحَةٍ مُصْلِحَةً، وَبِالْعَكْسِ.**

ثالثاً: **أَنَّنا لو قَدَرنا أن هذا الرجل الذي سَنَّ النظام أو القانون من أذكي الناس، وأعلم الناس بأحوال الناس، فإنَّ عِلْمَهُ هذا محدودٌ في زمانه، وفي مكانه؛ أمَّا في زمانه فظاهر؛ لأنَّ الأمور تتغير: قد يكون المصلحة للبشر في هذا الزمن كذا، وكذا؛ وفي زمن آخر خلافه؛ وفي المكان أيضاً؛ قد يكون هذا التشريع الذي سنَّه البشر مناسباً لأحوال هؤلاء الأمة في مكانهم؛ ولكن في أُمَّةٍ أخرى لا يصلح؛ ولهذا ضَلَّ كثيرٌ من المسلمين مع الأسف الشديد في أخذِ القوانين الغربية، أو الشرقية، وتطبيقها على مجتمع إسلامي؛ لأنَّ الواجب تحكيمُ الكتاب والسنة؛ والعَجَبُ أن بعض الناس -نسأل الله العافية- تجدهم قد مشوا على قوانين شرِّعت من عشرات السنين، أو مئاتها، وأهلها الذين شرعوا قد عدلوا عنها، فصار هؤلاء كالذين يُمَشِّشُونَ العظام بعد أن تُرمى في الزبالة؛ وهذا شيء واضح: هناك قوانين شرِّعت لقوم كفار، ثم تغيَّرت الحال، فغيَّروها، ثم جاء بعض المسلمين إلى هذه القوانين القشور الملفوظة، وصاروا يتمششونها.**

٥. **وجوبُ بيان الحقِّ، وتمييزه عن الباطل؛ فيقال: هذا حق، وهذا باطل؛**

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؛ وَمِنْ لَبَسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ: أولئك القوم الذين يُوردون الشبهات إمَّا على القرآن أو على أحكام القرآن ثم يُزيلون الإشكال، مع أن إيراد الشبه إذا لم تكن قريبة لا ينبغي، ولو أُزيلت هذه الشبهة؛ فإنَّ الشيطان إذا أوقع الشبهة في القلب فقد تستقر فيه، وإن دُكر ما يُزيلها.

٦. **أنَّ الصلاة واجبةٌ على الأُمم السابقة،** وأنَّ فيها ركوعاً كما أنَّ في الصلاة التي في شريعتنا ركوعاً؛ وقد دلَّ على ذلك أيضاً قول الله تعالى لمريم: ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]؛ فعلى الأُمم السابقة صلاةٌ فيها ركوع وسجود.

٧. **جواز الاستعانة بغير الله؛** لكن فيما يثبت أنَّ به العون؛ فمثلاً إذا استعنت إنساناً يحمل معك المتاع إلى البيت؛ كان جائزاً؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ»^(١).

٨. **إثبات ملاقاته الله عزَّ وجلَّ؛** لأنَّ الله مدح الذين يتيقنون بهذا اللقاء.

٩. **أنَّ هؤلاء المؤمنين يوقنون أنهم راجعون إلى الله في جميع أمورهم،** وهذا يستلزم أموراً:

أولاً: الخوف من الله؛ لأنك ما دُمْتَ تعلم أنَّك راجعٌ إلى الله، فسوف تخاف منه. ثانياً: مراقبة الله عزَّ وجلَّ -المراقبة في الجوارح، والخوف في القلب-؛ يعني أنهم إذا عَلِمُوا أنهم سيرجعون إلى الله، فسوف يخشونه في السِّرِّ والعلانية. ثالثاً: الحياء منه؛ فلا يفقدك حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

مجموعة (ب):

١. أن «الرهبنة» عبادة؛ لأن الله تعالى أمر بها، وأمر بإخلاصها.

فإن قال قائل: هل ينافي التوحيد أن يخاف الإنسان من سُبُع أو من عدو؟
فالجواب: لا ينافي هذا التوحيد؛ ولهذا وَقَعَ من الرُّسُل: إبراهيم عليه الصلاة
والسلام لَمَّا جاءه الضيوف، ولم يأكلوا أو جَسَ منهم خيفة، وموسى عليه
الصلاة والسلام لَمَّا ألقى السحرة حبالهم وعُصِيَّهم أو جَسَ منهم خيفة؛ ولأنَّ
الخوف الطبيعي ممَّا تقتضيه الطبيعة؛ ولو قُلْنَا للإنسان: «إنك إذا خفت من أحد
سوى الله خوفاً طبيعياً لكنت مشركاً»، لكان هذا من تكليف ما لا يُطاق؛ لأنَّ
خوف الإنسان ممَّا يُخافُ منه خوفٌ طبيعي غريزي لا يمكنه دفعه؛ كلُّ إنسانٍ
يخاف ممَّا يُخشى منه الضُّرر.

٢. توبيخ العالم المخالف لما يأمر به أو لما ينهى عنه؛ وأنَّ العالم إذا
خالف فهو أسوأ حالاً من الجاهل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾؛ وهذا
أمرٌ فُطِرَ الناس عليه؛ أنَّ العالم إذا خالف صار أشدَّ لوماً من الجاهل؛ حتى
العامة تجدهم إذا فعل العالم منكراً قالوا: كيف ترك هذا وأنت عالم؟!



الآيات (٤٧-٥٧)

﴿يَسْتَبِيحُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاكُمُ الصَّلْبَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمْ الْعَمَاءَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلَوىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَالِمُونَ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾^(١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن الله تعالى إذا فضّل أحداً بعلم، أو مال، أو جاه، فإن ذلك من النعم

العظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛ خصّها بالذكر لأهميتها.

(١) غريب الكلمات: «يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ»: يتركون بناتكم أحياء. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/١٦٨).

٢. **تفاضل الناس، وأن الناس درجات؛** وهذا أمرٌ معلوم -حتى الرسل يفضل بعضهم بعضاً-، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

٣. **التحذير من يوم القيامة؛** وهذا يقع في القرآن كثيراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

٤. **أن الله تعالى سخر من فرعون؛ حيث أهلكه بجنس ما كان يفتخر به، وأورث أرضه موسى عليه الصلاة والسلام؛** وقد كان فرعون يقول: ﴿يَقُولُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ﴾ [٥١] أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكادُ يُبينُ ﴿٥٢﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]؛ فأغرقه الله تعالى بالماء الذي كان يفتخر بجنسه، وأورث موسى أرضه الذي وصفه بأنه مهين ولا يكادُ يبين.

٥. **أن العفو موجبٌ للشكر؛** لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ وإذا كان العفو -وهو زوال النقم- موجباً للشكر، فحدوث النعم أيضاً موجبٌ للشكر من باب أولى.

٦. **أنه ينبغي للداعي إلى الله أن يستعمل الأسلوب الذي يجذب إليه الناس، ويعطفهم عليه؛** لقوله تعالى حكايةً عن موسى: ﴿يَقَوْمُ﴾؛ فإن هذا -لا شك- فيه من التودد والتلطف والتحبب ما هو ظاهر.

٧. **أن اتخاذ الأصنام مع الله ظلم؛** لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾.

٨. **أَنَّ التَّوْبَةَ عَلَى الْفَوْرِ؛** لقوله: ﴿فَتَوُوبُوا﴾؛ لأنَّ الفاء للترتيب، والتعقيب.
٩. **أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يُبَيِّنَ الْأَسْبَابَ فِيمَا يَحْكُمُ بِهِ؛** لقوله: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾.
١٠. **أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتُوبُ عَلَى النَّائِبِينَ مَهْمَا عَظُمَ ذَنْبُهُمْ؛** لقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾.
١١. **أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَسَطَّرَ بِهَا، وَلَا يَحْرِمَ نَفْسَهُ مِنْهَا؛** لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنِ الشَّيْءِ الْمُبَاحِ؛ وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ لِغَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ فَهُوَ مَذْمُومٌ»؛ وَهَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ؛ فَالْإِنْسَانُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَمْتَنَعَ عَنِ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا لِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ؛ وَالسَّبَبُ الشَّرْعِيُّ قَدْ يَكُونُ لِسَبَبٍ يَتَعَلَّقُ بِبَدَنِهِ؛ وَقَدْ يَكُونُ لِسَبَبٍ يَتَعَلَّقُ بِدِينِهِ؛ وَقَدْ يَكُونُ لِسَبَبٍ يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِ؛ فَقَدْ يَمْتَنَعُ الْإِنْسَانُ عَنِ اللَّحْمِ لِأَنَّ بَدَنَهُ لَا يَقْبَلُهُ، فَيَكُونُ تَرْكُهُ لَهُ مِنْ بَابِ الْحِمْيَةِ؛ وَقَدْ يَتْرُكُ الْإِنْسَانُ اللَّحْمَ لِأَنَّهُ يَخْشَى أَنْ تَتَسَلَّى بِهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ هُمًّا أَنْ يُذْهَبَ طَيِّبَاتُهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا؛ وَقَدْ يَتْرُكُ الْإِنْسَانُ الطَّيِّبَ مِنَ الرِّزْقِ مَرَاعَاةً لِغَيْرِهِ، مِثْلَ مَا يُذَكِّرُ عَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنَّهُ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ -عَامِ الْجَدْبِ الْمَشْهُورِ- أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا الْخُبْزَ وَالزَّيْتَ، حَتَّى اسْوَدَّ جِلْدُهُ، وَيَقُولُ: «بَسَّ الْوَالِي أَنَا إِنْ شَبِعْتَ وَالنَّاسَ جِيَاعاً»؛ فَيَكُونُ تَرْكُهُ لِذَلِكَ مَرَاعَاةً لِغَيْرِهِ؛ إِذَا مِنْ أَمْتَنَعَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ.

١٢. أَنْ الْعَاصِي لَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا؛ وَإِنَّمَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ.

مجموعة (ب):

١. أَنْ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ مُطْلَقُ التَّصَرُّفِ فِي عِبَادِهِ؛ بِمَا يَسُوؤُهُمْ أَوْ

يَسْرُهُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ زَيَّكَمْ﴾؛ يَعْنِي هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي سَامَكُمْ إِيَّاهُ أَلْ

فِرْعَوْنَ، وَالْإِنْقَازَ مِنْهُ؛ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛ فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَمِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ،

وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

٢. سَعَةُ حِلْمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَأَنَّهُ مَهْمَا بَارَزَ الْإِنْسَانَ رَبَّهُ بِالذَّنُوبِ، فَإِنَّ حِلْمَ اللَّهِ

تَعَالَى قَدْ يَشْمَلُهُ؛ فَيُفَوِّقُ لِلتَّوْبَةِ؛ وَهُؤُلَاءِ وُفِّقُوا لَهَا.

٣. إِثْبَاتُ الْأَسْبَابِ وَتَأْثِيرُهَا فِي مَسَبِّاتِهَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَتَخَاذِكُمْ﴾؛ فَإِنَّ الْبَاءَ هُنَا

لِلسَّبَبِيَّةِ.

٤. أَنْ الْمَبَاحَ مِنَ الرِّزْقِ هُوَ الطَّيِّبُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾.



الآيات (٥٨-٦١)

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا أَبْوَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُفُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِصْرًا فَإِنَّ لَهُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصَرَّيْتُمْ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ الْمَسْكُونَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعْضَهُنَّ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾^(١)

من فوائد الآيات ^(٢):

مجموعة (أ):

١. الإشارة إلى عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحداً، وأن الإنسان هو الظالم

لنفسه.

(١) غريب الكلمات: «وقولوا حطة»: ربنا حطّ عنا ذنوبنا؛ «بقليها»: بقولها؛ «قثائها» يشبه الخيار لكنه

أكبر؛ «فومها»: حبوبها. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٢٠٣).

٢. إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبباتها؛ لقوله تعالى: ﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

٣. أن الفسوق سببٌ لنزول العذاب.

٤. مشروعية الاستسقاء عند الحاجة إلى الماء؛ لأن موسى استسقى لقومه؛ وشرع من قبلنا شرع لنا إن لم يرد في شرعنا بخلافه؛ فكيف وقد أتى بواقفه؟! فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى في خطبة الجمعة^(١)، ويستسقى في الصحراء، على وجه معلوم^(٢).

٥. أن من اختار الأدنى على الأعلى ففيه شبهة من اليهود؛ ومن ذلك هؤلاء الذين يختارون الشيء المحرم على الشيء الحلال.

٦. جواز إسناد الشيء إلى مكانه لا إلى الفاعل الأوّل؛ لقولهم: ﴿مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ﴾؛ والذي يُنبت حقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

٧. جواز إسناد الشيء إلى سببه الحقيقي الذي ثبت أنه سبب شرعاً أو حسّاً؛ مثال ذلك: لو أطعمت جائعاً يكاد يموت من الجوع، فإنه يجوز أن تقول: «لولا أنني أطعمته لهلك»؛ لأن الإطعام سبب لزوال الجوع؛ والهلاك معلومٌ بالحس، ومثال الشرعي: القراءة على المريض فيراً، فتقول: «لولا القراءة عليه لم يبرأ»؛ أمّا المحذور فهو أن تُثبت سبباً غير ثابت شرعاً ولا حسّاً، أو تقرن مشيئة الله بالسبب بحرفٍ يقتضي التسوية مع الله عزَّجَل. مثال

(١) راجع البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) راجع البخاري (١٠٢٨)، ومسلم (٨٩٤).

الأول: أولئك الذين يعلّقون التمايم البدعية، أو يلبسون حلَقًا أو خيوطًا لدفع البلاء، أو رفعه - كما زعموا. ومثال الثاني: ما جاء في الحديث أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له رجل: «ما شاء اللهُ وشئت»، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي اللهُ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»^(١)، لأنك إذا قلت: «ما شاء اللهُ وشئت»، جعلت المخاطب نِدًّا لله في المشيئة.

٨. أنه يجوز للإنسان أن يعتذر عن الوساطة إذا لم يكن لها داع؛ لأنه قال: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾؛ وكأنه قال: لا حاجة أن أدعو الله أن يخرج لكم مما تنبت الأرض. مجموعة (ب):

١. الردُّ على الجبرية الذين يقولون: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَجْبُرٌ الْعَبْدَ عَلَىٰ عَمَلِهِ؛ ووجه الردُّ أن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أضاف الفسق إليهم؛ والفسق هو الخروج عن الطاعة، والوجه الثاني: أنهم لو كانوا مُجْبِرِينَ على أعمالهم لكان تعذيبهم ظلمًا، والله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٢. بيانُ حكمة الله عَزَّجَلَّ حَيْثُ رَبَطَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابِهَا؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾؛ وهذا من الحكمة أن يكون للأسباب تأثيراً في مسبباتها بما جعله الله رابطاً بين الأسباب والمسببات، ولكن الأسباب قد يكون لها موانع؛ فقد توجد الأسباب، ولكن توجد موانع أقوى منها؛ فالنار لم تحرق إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنها سبب للإحراق؛ لوجود مانع؛ وهو قوله الله تعالى لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: صحيح.

٣. أن بني إسرائيل لا يقومون للمسلمين لو حاربوهم من قبل الإسلام؛ لأنَّ ضَرْبَ الذَّلَّةِ بسبب المعصية؛ فإذا حاربوا بالطاعة والإسلام، فلا شكَّ أنه سيكون الوبال عليهم؛ وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]؛ وما يُشاهد اليوم من مقاتلة اليهود للعرب فإنَّما ذلك لسببين:

الأول: قِلَّةُ الإخلاص لله تعالى؛ فإنَّ كثيراً من الذين يقاتلون اليهود -أو أكثرهم- لا يقاتلونهم باسم «الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا»؛ وإنما يقاتلونهم باسم «العروبة»؛ فهو قتالٌ عَصَبِيٌّ قَبَلِيٌّ؛ ولذلك لم يُفْلِحِ العرب في مواجهة اليهود.

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من كبيرة وصغيرة؛ حتى إنَّ بعضها ليؤدِّي إلى الكفر؛ وقد حصل للمسلمين في أحد ما حصل بمعصية واحدة مع ما انضمَّ إليها من التنازع والفشل، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].



الآيات (٦٦-٦٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ ءَامَنَّا الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴿٦٩﴾ فَجَعَلْنَاهَا
نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا حَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾﴾^(١)

من فوائد الآيات^(٢):

مجموعة (أ):

١. أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا؛ فَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِنَّ لَهُ
أَجْرَهُ؛ مِنْ أَيِّ صِنْفٍ كَانَ.

٢. أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ الثَّنَاءُ بِالشَّرِّ عَلَى طَائِفَةٍ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَهْلُ خَيْرٍ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي ذِكْرُ
أَوْلِيكَ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِالْخَيْرِ حَتَّى لَا يَكُونَ قَدْحًا عَامًّا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَعْدَمَا قَالَ:
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِءَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعْضَهُنَّ بِالْبَغْيِ﴾ [البقرة: ٦١]؛
بَيِّنَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَهُمْ

(١) غريب الكلمات: «الصَّالِحِينَ»: طائفة من أتباع بعض الأنبياء، من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم
الآخر؛ «نَكَالًا»: عِبْرَةٌ. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٢٢٣).

أجرهم عند ربِّهم، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون.

٣. **أَنَّ الْأَخَذَ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ يُوجِبُ التَّقْوَى**؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لأجل أن تكونوا من المتقين لله عزَّ وجلَّ.

٤. **أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي التَّوْفِيقِ**؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.

٥. **إِثْبَاتُ الْأَسْبَابِ، وَرَبْطُهَا بِمُسَبَّبَاتِهَا**؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ فهذا صريحٌ في إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبباتها.

٦. **أَنَّ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ هُمُ الْمُتَّقُونَ.**

٧. **أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ التَّقْوَى - وَمَا أَكْثَرَ فَوَائِدِهَا - أَنَّ الْمُتَّقِيَ يَتَّعِظُ بِآيَاتِ اللَّهِ**

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا كِتَابَهُمْ بِقُوَّةٍ؛ لَا بِضَعْفٍ وَلَيْنٍ**

وَمِدَاهَنَةٍ؛ بل لا بدَّ من قوة في التطبيق والدعوة؛ التطبيق على أنفسهم، ودعوة

غيرهم إلى ذلك بدون فتور ولا تراخٍ، على حدِّ قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ لأنَّه لا يتمُّ

الأمر إلا بهذا.

٢. **تَحْرِيمُ الْحَيْلِ، وَأَنَّ الْمُتَحَيِّلَ عَلَى الْمُحَارِمِ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْعُدْوَانِ؛** لقوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّعَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾؛ بل الحيل على فعلٍ محرَّمٍ أعظمُ إثماً من

إتيان المحرَّم على وجهٍ صريحٍ؛ لأنَّه جَمَعَ بين المعصية والخداع؛ ولهذا كان

المنافقون أشدُّ جُرْمًا وعداوةً للمؤمنين من الكفار الصُّرَحَاءِ. قال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمُتَحِيلِينَ: «إِنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللهُ كَمَا يُخَادِعُونَ الصَّبِيَانَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَتَوْا الأَمَرَ عَلَى وَجْهِهِ لَكَانَ أَهْوَنَ»، وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ، وَلِلْحَيْلِ مَفَاسِدُ كَثِيرَةٌ -رَاجِعَ إِنْ شِئْتَ كِتَابَ «إِغَاثَةِ اللِّهْفَانِ» لِابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ- وَغَيْرِهِ. وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ حَيْلَ الْيَهُودِ فِي السَّبْتِ، وَحَيْلِهِمْ فِي بَيْعِ شَحُومِ الْمَيْتَةِ وَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَذَابُوهَا وَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا؛ وَتَأَمَّلْتَ حَيْلَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ عَلَى الرَّبَا وَغَيْرِهِ، وَجَدْتَ أَنَّ حَيْلَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ -عَلَى مَا ذُكِرَ- أَشَدُّ حَيْلَةً مِنْ حَيْلِ الْيَهُودِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ أَحَلَّ بِهِمْ نَقْمَتَهُ، وَقَدْ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ فَتَسْتَحِلُّوا مُحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحَيْلِ»^(١)؛ فَالْمُتَحِيلُ عَلَى الْمَحْرَمِ وَقَعَ فِيهِ، وَلَا تَنْفَعُهُ الْحَيْلَةُ.



(١) قال ابن القيم: إسناده جيدٌ يُصَحِّحُ مثله الترمذي (إغاثة اللفهان ١/٥١٣).

الآيات (٦٧-٧٤)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
 يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ
 بِالْحَقِّ فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا
 كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
 يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ
 اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَلِيظٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾^(١)

من فوائد الآيات^(٢):

مجموعة (أ):

١. أن الاستهزاء بالناس من «الجهل»؛ وهو الحمق والسفَه؛ لقول موسى

عليه الصلاة والسلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

(١) غريب الكلمات: «فارض»: كبيرة؛ «بكر»: صغيرة؛ «عوان بين ذلك»: وسط بين ذلك (المختصر).

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/ ٢٤١).

٢. **أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْبَقَرِ فِي الْحَرْثِ وَالسَّقْيِ كَانَ قَدِيمًا مَعْرُوفًا بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَا يَزَالُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الْأَلَاتُ الْحَدِيدِيَّةُ.**

٣. **أَنَّ مِنْ شَدَّدَ عَلَى نَفْسِهِ شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، كَمَا حَصَلَ لَهُؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ امْتَثَلُوا مَا أَمُرُوا بِهِ فذَبَحُوا أَيَّ بَقْرَةٍ، لَكَفَاهُمْ؛ وَلَكِنْهُمْ شَدَّدُوا وَتَعَتَّتُوا، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَعَتُّتُهُمْ هَذَا لِلتَّبَاطُؤِ فِي تَنْفِيذِ الْأَمْرِ.**

٤. **أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرَادُوا أَنْ يَتَقَهَّرُوا عَنْ تَنْفِيذِ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَى دَرَجَاتٍ؛ الدَّرَجَةُ الْأُولَى: مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾؛ الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: قَوْلِهِمْ: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهُنَا﴾؛ الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلِهِمْ: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾.**

٥. **أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يُشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(١).**

٦. **أَنَّ بَيَانَ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يَحْصُلُ فِيهَا الْاِخْتِلَافُ وَالنِّزَاعُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛ يَعْنِي مِثْلًا إِذَا اِخْتَلَفْنَا فِي أُمُورٍ، وَكَادَ الْأَمْرُ أَنْ يَتَفَاقَمَ وَيَصِلَ إِلَى الْفِتْنَةِ، ثُمَّ أَظْهَرَ اللَّهُ مَا يُبَيِّنُهُ فَإِنَّ هَذَا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ يُزِيلُ بِذَلِكَ هَذَا الْخِلَافَ وَهَذَا النِّزَاعَ.**

٧. **تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾؛ لِأَنَّ الْحِجَارَةَ أَمْرٌ مَحْسُوسٌ؛ وَالْقَلْبَ قَسْوَتُهُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ؛ إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ**

(١) أخرجه البخاري (٣٩).

القلب الذي هو المضغعة يَقْسُو؛ القلب هو هَوَ؛ لكن المراد: أنه يقسو قسوةً معنويةً يعارضه عن الحق واستكباره عليه؛ فهو أمرٌ معنوي شُبِّه بالأمر الحسِّي؛ وهذا من بلاغة القرآن: تشبيه المعقول بالمحسوس حتى يتبين.

٨. **أَنَّ الْجَمَادَاتِ تَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّجَلَّ**؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ وهذا أمرٌ معلومٌ من آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١]، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]؛ فَفَهَّمَتَا الْأَمْرَ، وَاِنْقَادَاتَا.

٩. **عِظْمَةُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ**؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ والخشية هي الخوف المقرون بالعلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فمن علم عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَا بَدَّ أَنْ يَخْشَاهُ.

١٠. **سَعَةُ عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ وهذه الصفة من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السلبية؛ والصفات السلبية هي التي ينفيها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نفسه؛ وتتضمن أمرين: نفي هذه الصفة، وإثبات كمالِ ضِدِّهَا.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مَحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى الْاِعْتِصَامِ بِهِ عَزَّجَلَّ**؛ فَإِنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ

محتاجٌ إلى ربِّه تبارك وتعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ والاستعاذة لا تكون إلا بالله عَزَّجَلَّ، وقد تكون بالمخلوق فيما يقدرُ عليه، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ وَجَدَ مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»^(١).

٢. **أَنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ قَوْلٌ لِمُرْسِلِهِ إِذَا كَانَ بِأَمْرِهِ؛** لقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَصْرِيؤُهُ

بِبَعْضِهَا﴾.

٣. **أَنَّهُ يَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْتَنِي بِمَعْنَى الْقِصَّةِ وَغَرَضِهَا، دُونَ مَنْ وَقَعَتْ**

عَلَيْهِ؛ لقوله تعالى: ﴿بِبَعْضِهَا﴾؛ ولم يُعَيَّنْ لَهُمْ ذَلِكَ تَوْسِعَةً عَلَيْهِمْ؛ ليحصل المقصود بأيِّ جزءٍ منها؛ ولهذا نرى أَنَّهُ مِنَ التَّكَلُّفِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا سَمِعَ حَدِيثًا أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ... كَذَا وَكَذَا؛ تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَتَعَبُ وَيَتَكَلَّفُ فِي تَعْيِينِ هَذَا الرَّجُلِ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِإِلْزَامٍ؛ الْمَهْمُ مَعْنَى الْقِصَّةِ وَمَوْضُوعِهَا؛ أَمَّا أَنْ تَعْرِفَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ مِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ؟ مَا هَذِهِ النَّاقَةُ مِثْلًا؟ مَا هَذَا الْبَعِيرُ؟ فَلَيْسَ بِإِلْزَامٍ؛ إِذْ إِنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْأُمُورِ مَعَانِيهَا، وَأَغْرَاضِهَا، وَمَا تُوصِلُ إِلَيْهِ؛ فَلَا يَضُرُّ الْإِبْهَامَ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ فَهْمُ الْمَعْنَى عَلَى التَّعْيِينِ.



الآيات (٧٥-٨٢)

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْقُلُوبِ أَنُحَدِّثُوكُمْ إِنَّمَا فَتِاحُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجَّوْكُمْ بِهِ ءِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ءِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ءِ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ ءِ خَطِيئَتُهُ فَاُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن الله تعالى يُسَلِّي رسوله صَلَّى الله عليه وسلّم بما يُذهِب عنه الأسى والحزن؛ حيث بين له حال هؤلاء، وأنهم قومٌ عتاةٌ لا مطمع في إيمانهم.
٢. بيان قُبْح تحريف اليهود؛ لأنهم حرّفوا ما عقّلوه؛ والتحريف بعد عقلٍ

(١) غريب الكلمات: «أمانِي»: أكاذيب. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٢٥٠).

المعنى أعظم؛ لأنَّ الإنسان الجاهل قد يُعذَّر بجهله؛ لكنَّ الإنسان العالم الذي عقل الشيء يكون عمله أقبح؛ لأنَّه تجرَّأ على المعصية مع علمه بها؛ فيكون أعظم.

٣. **أنَّ المؤمن والكافر يتحاجَّان عند الله يوم القيامة؛** لقولهم: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

٤. **الثناء على العقل والحكمة؛** لأنَّ قولهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ لهم على هذا الفعل؛ وأنَّه ينبغي للإنسان أن يكون عاقلاً؛ ما يخطو خطوة إلا قد عرف أين يضع قدمه؛ ولا يتكلَّم إلا وينظر ما النتيجة من الكلام؛ ولا يفعل إلا وينظر ما النتيجة من الفعل: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

٥. **أنَّ «الأمية» يوصف بها من لا يقرأ، ومن يقرأ ولا يفهم؛** لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾.

٦. **أنَّ المقلد ليس بعالم؛** لأنَّه لا يفهم المعنى؛ وقد قال ابن عبد البر: «إِنَّ العلماء أجمعوا أنَّ المقلد لا يُعدُّ في العلماء»؛ وهو صحيح: المقلد ليس بعالم؛ غاية ما هنالك أنَّه نسخة من كتاب؛ بل الكتاب أضبط منه؛ لأنَّه قد ينسى؛ وليس معنى ذلك أننا ندِّم التقليد مطلقاً؛ التقليد في موضعه هو الواجب؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَسَاءَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

٧. **أنَّ اليهود يُقرُّون بالآخرة، وأنَّ هناك ناراً؛** لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴿١﴾؛ لَكِنَّ هَذَا الْإِقْرَارَ لَا يَنْفَعُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَعَلَى هَذَا فَلْيَسُوا بِمُؤْمِنِينَ.

٨. **أَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْأَشْخَاصِ بِحَسَبِ النَّسَبِ أَوْ الْإِنْتِمَاءِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الْعَمَلِ.**

٩. **أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ هُمُ الَّذِينَ قَامُوا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ وَلَا يَكُونُ الْعَمَلُ صَالِحًا إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالْمَتَابَعَةَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالِدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا أُغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(١)، وَهَذَا فَقَدْ فِيهِ «الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ» عَزَّجَلَّ؛ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وَهَذَا فَقَدْ فِيهِ «الْمَتَابَعَةَ»؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِيْمَا شَرَطِ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرَطٍ»^(٣).**

مجموعة (ب):

١. **إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ، وَأَنَّ كَلَامَهُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾؛ وَكَلَامُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى؛ فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِحُرُوفٍ وَأَصْوَاتٍ مَسْمُوعَةٍ، وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْعُقَائِدِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٦٣)، ومسلم (١٥٠٤).

٢. **أَنَّ الْعِلْمَ مِنَ الْفَتْحِ**؛ لقولهم: ﴿يَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ ولا شكَّ أَنَّ الْعِلْمَ فَتَحَ يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا يُنِيرُ بِهِ قَلْبَهُ.
٣. **إِثْبَاتُ عَمُومِ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ**؛ لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.
٤. **إِثْبَاتُ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ**؛ لقوله تعالى: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ فَإِنَّ هَذَا بَيَانٌ لِعِلَّةِ الْوَعِيدِ.
٥. **تَحْرِيمُ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**؛ وَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَى الْمَفْتِي أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ، وَأَلَّا يَتَسَرَّعَ فِي الْإِفْتَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ خَطِيرًا.
٦. **أَنَّ الْإِيمَانَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي لِدُخُولِ الْجَنَّةِ**؛ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ.
٧. **بِلاغَةُ الْقُرْآنِ، وَحُسْنُ تَعْلِيمِهِ**؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَصْحَابَ النَّارِ، ذَكَرَ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ؛ وَهَذَا مِنْ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ فَإِنَّ مِنْ مَعَانِي «الْمَثَانِي» أَنْ تُثْنَى فِيهِ الْأُمُورُ؛ فَيُذَكَّرُ التَّرْغِيبَ وَالتَّرْهيبَ؛ وَالمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ؛ وَالمُضَارَّ وَالمُفَاعِلَ؛ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.



الآيات (٨٣-٨٦)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. بيان عظمة الله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾؛ لأنَّ الضمير هنا للتعظيم؛ وهو سبحانه وتعالى العظيم الذي لا أعظم منه.
٢. أن التوحيد جاءت به الرُّسل جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾.
٣. وجوب الإحسان إلى الوالدين؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ وإنَّما أوجب ذلك؛ لأنَّ نعمة الوالدين على ولدهما هي التي تلي نعمة الله عز وجل؛

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٢٦٩).

ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ فَهُمَا سَبَبٌ وَجُودِكَ، وَإِمْدَادِكَ، وَإِعْدَادِكَ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ؛ فَلَوْلَا الْوَالِدَانِ مَا كُنْتُ شَيْئًا؛ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ شَامِلٌ لِلْإِحْسَانِ بِالْقَوْلِ، وَالْفِعْلِ، وَالْمَالِ، وَالجَاهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ؛ وَضِدُّهُ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُسِيءَ إِلَيْهِمَا؛ وَالثَّانِي: أَنْ لَا يُحْسِنَ وَلَا يُسِيءَ؛ وَكِلَاهُمَا تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ مُنَافٍ لِبِرِّهِمَا؛ وَفِي الْإِسَاءَةِ زِيَادَةُ الْإِعْتِدَاءِ.

٤. **أَنَّ الصَّلَوَاتِ مَفْرُوضَةٌ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا.**

٥. **وَجُوبُ الزَّكَاةِ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مَسَاوِينَ لَنَا فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ، وَلَا فِي أَهْلِهَا الَّذِينَ تُدْفَعُ إِلَيْهِمْ.**

٦. **تَحْرِيمُ التَّظَاهُرِ عَلَى الْغَيْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ﴾؛ وَأَمَّا إِذَا عَلَا عَلَيْهِ بِحَقٍّ، فَإِنَّ هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

٧. **أَنَّ الْكُفْرَ بِيَعْضِ الشَّرِيعَةِ كُفْرٌ بِجَمِيعِهَا؛** وَجِهَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِيَعْضِ الْكِتَابِ وَيُكْفِرُونَ بِيَعْضٍ؛ وَمِثْلَ ذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِيَعْضِ الرُّسُلِ دُونَ بَعْضٍ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِالْجَمِيعِ؛ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ وَنُوحٌ هُوَ أَوَّلُ الرُّسُلِ لَمْ يَسْبِقْهُ رَسُولٌ؛ وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الْمَكْذِبِينَ لَهُ مَكْذِبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

٨. إثبات أن صفات الله تعالى «ثبوتية» و«منفية»؛ لكن يجب أن نعلم أن «النفي المحض» لا يوجد في صفات الله تعالى؛ وإنما النفي الواقع في صفاته لبيان كمال ضد ذلك المنفي؛ ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] إثبات كمال العدل مع نفي الظلم عنه، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] إثبات كمال القوة مع نفي اللغوب عنه، وعلى هذا فقس؛ فالضابط في الصفات التي نفاها الله تعالى عن نفسه أنها تدل على نفي تلك الصفة وعلى ثبوت كمال ضدها.

مجموعة (ب):

١. أن التَّوَلَّى قد يكون بإعراض، وقد يكون بغير إعراض؛ لأنه لو كان بإعراض مطلقاً لم يستقم قوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.
٢. أن المتوَلَّى المُعْرِضُ أشد من المتوَلَّى غير المُعْرِضِ.
٣. أن الأُمَّة كالتَّنَفُّسِ الواحدة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾.
٤. أن هؤلاء القوم خالدون في العذاب أبد الأبدين؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾.



الآيات (٨٧-٩٠)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَآيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا آسَرُوا بِهِ ۖ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِعَضْبٍ عَلَى عَضْبٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ (١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أَنْ مَنْ بَعْدَ مُوسَى مِنَ الرُّسُلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَبِعَ لَهُ**؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾؛ ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَعُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢. **أَنْ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَبٌ فَإِنَّهُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ**؛ لأنَّ عيسى عليه السلام نُسِبَ إِلَى

(١) غريب الكلمات: «قَفَّيْنَا»: أتبعنا؛ «غُلْفٌ»: مغلفة لا يصل إليها شيء؛ «يَسْتَفْتِحُونَ»: يقولون:

سننتصر على المشركين، ويُفْتَحُ لنا. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/ ٢٨٥).

أمه؛ وبهذا نعرف أن القول الراجح من أقوال أهل العلم أن أم من ليس له أب شرعاً هي عَصَبَتُهُ؛ فإن عُدِمَتْ فَعَصَبَتُهَا؛ خلافاً لمن قال: إن أمه ليس لها تعصيب؛ ويظهر أثر ذلك بالمثل: فلو مات من ليس له أب عن أمه وخاله: فلا أمه الثلث والباقي لخاله؛ على قول من يقول: إن الأم لا تعصيب لها؛ أما على القول الراجح: فلا أمه الثلث فرضاً، والباقي تعصيباً.

٣. أن الملائكة - من جملة تسخيرهم للخلق - أنهم يؤيدون من أمرهم الله بتأييده؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»^(١).

٤. أن القلوب بفطرتها ليست غلفاء؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾؛ وهذا الإضراب للإبطال؛ يعني ليست القلوب غلفاء لا تقبل الحق؛ لكن هناك شيء آخر هو الذي منع من وصول الحق؛ وهو لعن الله إياهم بسبب كفرهم.

٥. أن الفطرة - من حيث هي فطرة - تقبل الحق؛ ولكن يوجد لها موانع.

٦. إثبات الأسباب، وأن لها تأثيراً في مسبباتها بإذن الله؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾.

٧. أن اليهود كانوا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث، وتكون له الغلبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ يعني يستنصرون؛ أي يطلبون النصر؛ أو يعدون به؛ فقبل نزول القرآن، وقبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم، يقولون للعرب: إنه سيبعث نبي، ويُنزّل عليه كتاب،

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣)، ومسلم (٢٤٨٥).

ونتصر به عليكم، ولمَّا جاءهم الرسول الذي كانوا يستفتحون به كفروا به.

٨. أَنَّ الْكَافِرَ مُسْتَحِقٌّ لِّلْعَنَةِ اللَّهِ، وَوَاجِبَةٌ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الْكَافِرِينَ﴾.

٩. أَنَّ كُفْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا هُوَ إِلَّا بَغْيٌ وَحَسَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

١٠. أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ بِالْحَقِّ لَا بِالرَّجَالِ؛ فَمَا دَامَ أَنْ

هذا الذي قيل حق، فاتبعه من أيِّ كان مصدره؛ فاقبل الحقَّ للحق، لا لأنَّه جاء

به فلان وفلان.

١١. أَنَّ الْعُقُوبَاتِ تَتْرَاكُمُ بِحَسَبِ الذُّنُوبِ جَزَاءً وَفَاقًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَاءُوا

بِعُصْبٍ عَلَى عُصْبٍ﴾.

١٢. إِثْبَاتُ الْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَاءُوا بِعُصْبٍ عَلَى

عُصْبٍ﴾، والغضب من صفات الله الفعلية المتعلقة بمشيئته؛ وهكذا كل صفة من

صفات الله تكون على سبب.

مجموعة (ب):

١. أَنَّ مَنْ اسْتَكْبَرَ عَنِ الْحَقِّ إِذَا كَانَ لَا يُوَافِقُ هَوَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ شَبِيهُ

بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَإِذَا اسْتَكْبَرَ عَنِ الْحَقِّ -سواء تحيّل على ذلك بالتحريف، أو أقرّ

بأنَّ هذا الحقُّ ولكنَّه استكبر عنه فإنَّه شبيهُ بني إسرائيل-، والخارجون عن

الحقِّ ينقسمون إلى قسمين: قِسْمٌ يُقَرُّ به ويعترف بأنَّه عاصٍ، وهذا أمرُه واضحٌ

وسبيله بيّن، وقِسْمٌ آخر يستكبر عن الحقِّ ويحاول أن يحرف النصوص إلى

هواه؛ وهذا الأخير أشدُّ على الإسلام من الأول؛ لأنَّه يتظاهر بالاتباع وهو ليس من أهله.

٢. **أَنَّ مِنْ صَنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِمْ فَهُوَ شَبِيهُهُمْ**؛ يوجد أناس نسمع عنهم أنَّهم إذا نُصِحُوا ودُعُوا إلى الحقِّ قالوا: «ما هداانا الله»؛ وهؤلاء مشابهُون لليهود الذين قالوا: ﴿قُلُوبِنَا غُلْفٌ﴾.

٣. **بَيَانُ أَنَّ الْأَسْبَابَ - مَهْمَا قَوِيَتْ - إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا الْمَانِعُ لَمْ تَوْثُرْ شَيْئًا**؛ فالقلوب مفطورةٌ على الدِّينِ القِيَمِّ؛ لكن إذا وُجِدَ موانع، لم تتمكَّن من الهدى؛ وقد قيل: إنَّ الأمور لا تتم إلا بوجود أسبابها وانتفاء موانعها.

٤. **اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى جَوَازِ لَعْنِ الْكَافِرِ الْمَعِيْنِ**؛ ولكن لا دليل فيها؛ لأنَّ اللعن الوارد في الآية على سبيل العموم؛ ثم هو خبرٌ من الله عزَّجَلَّ، ولا يلزم منه جواز الدعاء به، ويدلُّ على منع لعن المعين أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»^(١)؛ لأئمة الكفر؛ فنهاه الله عن ذلك، ولأنَّ الكافر المعين قد يهديه الله للإسلام إن كان حيًّا، وإن كان ميتًّا فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

الآيات (٩١-٩٣)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِقَوْلِ اللَّهِ وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ ۖ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن اليهود اغتتموا فُرْصَةَ غِيَابِ مُوسَىٰ مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ هَيْبَتِهِمْ لَهُ؛ لقوله

تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ يعني من بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه.

٢. أن اليهود عَبَدُوا الْعِجْلَ عَنْ ظُلْمٍ وَليْسَ عَنْ جَهْلِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾.

٣. وجوبُ تَلَقِّي شَرِيعَةِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ دُونَ الْكَسَلِ وَالْفَتُورِ؛ لقوله تعالى:

﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

(١) غريب الكلمات: «الطور»: الجبل؛ «بقوة»: بجد واجتهاد. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢٩٨/١).

٤. **أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا لَا يَأْمُرُهُ إِيمَانُهُ بِالْمَعَاصِي**؛ لقوله تعالى: ﴿إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾؛ يعني إن كنتم مؤمنين حقًا ما اتخذتم العجل إلهًا.

٥. **أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَبْتَلِي الْعَبْدَ، فِيمَا لَقَبَهُ حَبًّا لِمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ**؛ لقوله

تعالى: ﴿وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾.

٦. **أَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِي لَا يَحْمِلُ صَاحِبَهُ إِلَّا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ**؛ لقوله تعالى:

﴿قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ**؛ لقوله تعالى: ﴿ءَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ لأن ما أنزل الله

هو القرآن؛ وهو كلام؛ والكلام ليس عينًا قائمة بذاتها؛ بل هو صفة في غيره؛ فإذا

كان صفة في غيره، وهو نازل من عند الله، لزم أن يكون كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

٢. **عَلَوُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأنه إذا كان القرآن كلامه، وهو نازل من عنده، دلَّ

على علو المتكلم به.

٣. **أَنَّ مِنْ دُعَايِ إِلَى الْحَقِّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَالَ: «الْمَذْهَبُ كَذَا، وَكَذَا»**؛

يعني: ولا أرجع عنه، ففيه شبهة من اليهود؛ لأن الواجب إذا دُعيت إلى الحق أن

تقول: «سمعنا وأطعنا»، ولا تعارضه بأي قول كان أو مذهب.



الآيات (٩٤-٩٦)

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. تكذيبُ اليهود الذين قالوا: «لنا الآخرة، ولكم الدنيا .. لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة»؛ وجهه: أن الله تعالى قال لهم: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾.
٢. إبطال قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ثم يخرجون منها ويكونون في الجنة؛ لأن من كان كذلك لا يكره الموت.
٣. أن طول العمر لا يفيد المرء شيئاً إذا كان في معصية الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزِهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾.

٤. عور فهم السلف حين كرهوا أن يدعى للإنسان بالبقاء؛ فإن الإمام أحمد كره أن يقول الإنسان: «أطال الله بقاءك»؛ لأن طول البقاء قد ينفع وقد

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١ / ٣١١).

يُضِرُّ؛ إِذَا الطَّرِيقَ السَّلِيمَ أَنْ تَقُولَ: «أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ»، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.
 ٥. أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحِيطٌ بِأَعْمَالِ هَؤُلَاءِ كَغَيْرِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ
 بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾؛ وَالْبَصْرُ هُنَا بِمَعْنَى «الْعِلْمُ»؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى
 الرُّؤْيَا؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَشَفَهُ لِأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا
 انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١)؛ فَأُثِبَتْ لَهِ بَصْرًا؛ لَكِنَّ تَفْسِيرَهُ بِالْعِلْمِ أَعَمَّ.
 مجموعة (ب):

١. **إثبات السببية**؛ تَوْخِذٌ مِنَ «الْبَاءِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.
٢. **أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْحِرْصِ عَلَى الْحَيَاةِ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَحْرَصَ﴾،
 و«أَحْرَصَ» اسْمٌ تَفْضِيلٌ.



الآيات (٩٧-١٠٣)

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَدَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْمُرُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وعى القرآن وعياً كاملاً لا يتطرق إليه

(١) غريب الكلمات: «ببابل»: بمدينة بابل بالعراق. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣١٦/١).

الشك؛ لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾؛ لأن ما نَفَذَ إِلَى الْقَلْبِ حَلٌّ فِي الْقَلْبِ؛
وإذا حَلَّ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ فِي حِرْزِ مَكِينٍ.

٢. **أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ والإذن هنا «كوني»؛ وقد ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ «إِذْنَ اللَّهِ» تَعَالَى نَوْعَانِ:
«كَوْنِي»: وهو المتعلق بالخلق والتكوين، ولا بدَّ من وقوع ما أذن الله تعالى فيه بهذا المعنى: مثاله قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]،
وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١].

والثاني «شُرعي»: وهو ما يتعلق بالشرع والعبادة؛ مثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]؛ وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؛ والفرق بينهما أَنَّ الْمَأْذُونَ بِهِ شَرْعًا قَدْ يَقَعُ وَقَدْ لَا يَقَعُ؛ وَأَمَّا الْمَأْذُونَ بِهِ قَدْرًا فَوَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ؛ وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى: أَنَّ الْمَأْذُونَ بِهِ شَرْعًا مُحْبُوبٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَالْمَأْذُونَ بِهِ قَدْرًا قَدْ يَكُونُ مُحْبُوبًا وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ مُحْبُوبٍ.

٣. **وصف القرآن بأنه آياتٌ بينات،** ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُّشْتَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]؛ لأنَّ هَذَا التَّشَابُهَ يَكُونُ مُتَشَابِهًا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ؛ وَلِأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى الْمُحْكَمِ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُحْكَمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ

كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

فالحاصل: أن القرآن - والله الحمد- آيات بيّنات؛ ولكنه يحتاج إلى قلبٍ يفتح لهذا القرآن حتى يتبين؛ أمّا قلبٌ يكره القرآن، ثم يأتي بما يُشبهه فيه ليضرب القرآن بعضه ببعض فهذا لا يتبين له أبداً؛ إنّما يتبين الهدى من القرآن لمن أراد الهدى، وأمّا من لم يُرده فلا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

٤. **أن اليهود لا يوثق منهم بعهد؛ لأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم.**

٥. **أن نبذ من عنده كتاب وعلم أقبح ممن ليس عنده ذلك؛ ولهذا نصّ على**

قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾؛ لإظهار شدة القبح من هؤلاء في نبذهم؛ لأن النبذ مع العلم أقبح من النبذ مع الجهل.

٦. **أن تعلم السحر وتعليمه كُفْر؛** وظاهر الآية أنه كُفْر أكبر مُخْرَجٌ عن

الملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُ الْشَّيْطَانُ بِمَا كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وقوله

تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ وهذا فيما

إذا كان السحر عن طريق الشياطين؛ أمّا إذا كان عن طريق الأدوية والأعشاب

ونحوها، ففيه خلاف بين العلماء.

٧. **أن الله تعالى قد يُيسر أسباب المعصية فتنّة للناس؛ أي ابتلاءً وامتحاناً؛**

لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى

يقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ فإياك إياك إذا تيسرت لك أسباب المعصية أن تفعلها؛

واذكر قصة بني إسرائيل حين حُرّم عليهم الصيد يوم السبت - أعني صيد

البحر-؛ فلم يصبروا حتى تحيّلوا على صيدها يوم السبت؛ قال لهم الله: ﴿كُونُوا فَرْدَةً حَسِينًا﴾ [البقرة: 65]، واذكر قصة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين ابتلاهم الله عَزَّجَلَّ وهم مُحْرِمُونَ بالصَّيْدِ تناله أيديهم ورماحهم، فلم يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ؛ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ حِكْمَةُ اللَّهِ -تبارك وتعالى- في تيسير أسباب المعصية؛ لِيَلْبُو الصَّابِرَ مِنْ غَيْرِهِ.

٨. **أَنَّ مِنْ عِظَمِ السَّحَرِ أَنْ يَكُونَ أَثَرُهُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ؛** لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾؛ لَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى الشَّيَاطِينِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «أَنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةً أَعْظَمَهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»^(١)؛ وفيه سِحْرٌ مُقَابِلٌ لِهَذَا: وَهُوَ الرَّبْطُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يُبْتَلَى بِالْهَيْامِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ -وَلَا لِحِظَةٍ- إِلَّا وَزَوْجَتَهُ أَمَامَهُ؛ وَبَعْضُهُمْ يَقْضِي عَلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ -نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ-.

٩. **أَنَّ الْإِيمَانَ يُنَالُ بِهِ ثَوَابُ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَمَثُوبَةَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ عَدُوًّا لِمَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛** لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٣).

كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴿١﴾؛ ووجهُ ذلك: أن مثل هذا الكلام لو لم يكن له أصل لكان لغواً من القول؛ والقرآن مُنَزَّه عن هذا اللغو.

٢. **أَنَّ مِنْ عَادِي اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ؛** لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

٣. **ثَبُوتُ عِلْوِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ والنزول لا يكون إلا من أعلى، وعلوُّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ اللَّازِمَةِ لَهُ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَتَّصِفًا بِهَا؛ وَأَمَّا اسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ فَإِنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ.

٤. **أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّابِقَةُ؛** لقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

٥. **أَنَّ الْيَهُودَ أَخَذُوا السِّحْرَ عَنِ الشَّيَاطِينِ؛** لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾؛ ويدلُّ على هذا أَنَّ أَحَدَهُمْ -وهو لبيد بن الأعصم- سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦. **أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْصَحَ لِلنَّاسِ -وإن أوجبَ ذلك إِعْرَاضُهُمْ عَنْهُ-**؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ فإذا كانت عندك سلعة رديئة، وأراد أحدٌ شراءها يجب عليك أن تحذره.



الآيات (١٠٤-١١٣)

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا اَوْ مِثْلَهَا اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ اَمْ تُرِيدُوْنَ اَنْ تَسْأَلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سَئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيْرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَوْ يَرُوْنَ دُوْنَكُمْ مِنْۢ بَعْدِ اِيْمٰنِكُمْ كُفٰرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ اَنْفُسِهِمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاَعْفُوا وَاَصْفَحُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهَ بِاَمْرٍ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١٠٩﴾ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاَتُوْا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوْا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَّجِدُوْهُ عِنْدَ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوْا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصْرٰىؕ تِلْكَ اَمَانِيْهُمُۥ قُلْ هَاتُوْا بُرْهٰنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١١١﴾ بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ اَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهٖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرٰى عَلٰى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرٰى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتٰبَؕ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاَللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِىْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ﴿١١٣﴾﴾ (١).

(١) غريب الكلمات: «لا تقولوا راعينا»: لا تقولوا راعِ أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويقصدون بها معنى فاسداً وهو الرعونة. (المختصر)

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. أَنَّهُ يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُ الْأَدَبِ فِي الْأَلْفَاظِ؛ يَعْنِي أَنْ يَتَجَنَّبَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي تُؤْهِمُ سَبًّا وَشْتِمًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نَظْرًا﴾.
٢. أَنَّ الْإِيمَانَ مُقْتَضِي لِكُلِّ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ؛ لِأَنَّ مِرَاعَاةَ الْأَدَبِ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ.
٣. أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ أَنْ يَدُلَّ النَّاسَ عَلَى بَدَلِهِ الْمُبَاحِ؛ فَلَا يَنْهَاهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ فِي حَيْرَةٍ.
٤. وَجُوبُ الْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْمَعُوا﴾.
٥. أَنَّ هَوْلَاءَ الْكُفَّارِ يُوَدُّونَ أَنْ يَمْنَعُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ التَّقَدُّمَ.
٦. أَنَّ النَّاسِخَ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْسُوحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾؛ أَوْ مِمَّاثِلٌ لَهُ عَمَلًا؛ وَإِنْ كَانَ خَيْرًا مِنْهُ مَا لَأَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾.
٧. أَنَّ الشَّرِيعَةَ تَابِعَةٌ لِلْمَصَالِحِ؛ لِأَنَّ النَّسْخَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَصْلُوحَةٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبَدِّلُ حِكْمًا بِحِكْمٍ إِلَّا لِمَصْلُوحَةٍ.

قد يقول قائل: ما الفائدة إذاً من النسخ إذا كانت «مثلها»، والله تعالى «حكيم» لا يفعل شيئاً إلا لحكمة؟

فالجواب: أن الفائدة اختبار المكلف بالامثال؛ لأنه إذا امتثل الأمر أولاً وآخرًا دلَّ على كمال عبوديته؛ وإذا لم يمتثل دلَّ على أنه يعبد هواه ولا يعبد

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١/٣٣٩).

مولاه؛ مثال ذلك: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ هذا بالنسبة للمكلف ليس فيه فرق أن يتجه يميناً أو شمالاً؛ إنّما الحكمة من ذلك اختبار المرء بامثاله أن يتجه حيثما وُجّه؛ أمّا المتّجه إليه، وكونه أولى بالاتجاه إليه فلا ريب أنّ الاتجاه إلى القبلة أولى من الاتجاه إلى بيت المقدس؛ ولهذا ضلّ من ضلّ وارتدّ من ارتدّ بسبب تحويل القبلة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فالإنسان يُبتلى بمثل هذا النسخ؛ إن كان مؤمناً عابداً لله قال: سمعت وأطعت؛ وإن كان سوى ذلك عانداً وخالفاً؛ يقول: لماذا هذا التغيير! فيتبين بذلك العابد حقاً، ومن ليس بعابد.

٨. **أنّ الكفر بعد الإسلام يُسمّى «ردّة»**؛ لقوله تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمُ؛ ولهذا الذي يكفر بعد الإسلام لا يُسمّى باسم الدين الذي ارتدّ إليه؛ فلو ارتدّ عن الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية لم يُعطَ حكم اليهود والنصارى.

٩. **أنّ الحسد من صفات اليهود والنصارى.**

١٠. **تحريم الحسد**؛ لأنّ مشابهة الكفار بأخلاقهم محرّمة؛ لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «من تشبّه بقوم فهو منهم»^(١)، واعلم أنّ الواجب على المرء إذا رأى أنّ الله أنعم على غيره نعمةً أن يسأل الله من فضله، ولا يكره ما أنعم الله به على الآخرين، أو يتمنى زواله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلرِّجَالِ وَتَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

فَضْلًا ۖ [النساء: ٣٢]؛ والحاسدُ لا يزداد بِحَسَدِهِ إِلَّا نَارًا تَلْظِي فِي جَوْفِهِ؛ وَكَلَّمَا
ازدادت نعمة الله على عباده ازداد حسرةً؛ فهو مع كونه كارهاً لنعمة الله على
هذا الغير، مضادُّ الله في حُكْمِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يُنْعِمَ اللهُ عَلَى هَذَا الْمَحْسُودِ؛ ثُمَّ إِنَّ
الحاسد -أو الحسود- مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى الله فضلاً فيها؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي
أَنْ يَرَى فِي غَيْرِهِ نِعْمَةً أَكْثَرَ مِمَّا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ، فَيَحْتَقِرُ النِّعْمَةَ. حَتَّى لَوْ فَرَضْنَا
أَنَّهُ تَمَيَّزَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ تَاجِرٌ، وَكَسَبَ مَكْسَبًا كَبِيرًا فِي سَلْعَةٍ مَعْيِنَةٍ،
تَجِدُ هَذَا الْحَاسِدَ يَحْسُدُهُ عَلَى هَذَا الْمَكْسَبِ بَيْنَمَا عِنْدَهُ مَلَائِينَ كَثِيرَةٍ. وَكَذَلِكَ
أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ لِلْعِلْمِ: بَعْضُ الْحَاسِدِينَ إِذَا بَرَزَ أَحَدٌ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ
تَجِدُهُ -وَإِنْ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُ- يَحْسُدُهُ عَلَى مَا بَرَزَ فِيهِ؛ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَحْتَقِرَ نِعْمَ
الله عَلَيْهِ؛ فَالْحَسَدُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَعَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ؛ وَالنَّاسُ فِي خَيْرٍ، وَالْحَسُودُ فِي
شَرٍّ: يَتَّبِعُ نِعْمَ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَكَلَّمَا رَأَى نِعْمَةً صَارَتْ جَمْرَةً فِي قَلْبِهِ؛ وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ مِنْ خُلُقِ الْحَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ لَكَانَ كَافِيًا فِي النُّفُورِ مِنْهُ.

١١. مراعاة الأحوال، وتطور الشريعة؛ حيث قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا

حَتَّى يَأْتِيََ اللهُ بِأَمْرٍ ۖ﴾.

١٢. أَنَّ الصَّلَاةَ أَوْكَدَ مِنَ الزَّكَاةِ؛ وَلِهَذَا يَقْدِّمُهَا اللهُ عَلَيْهَا فِي الذِّكْرِ.

١٣. أَنْ مِنْ اعْتَرَبَ بِالْأَمَانِيِّ وَطَمَعَ فِي الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ بَدُونَ عَمَلٍ لَهَا فِيهِ شَبَهٌ

مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

١٤. عَدَلُ اللهُ عَزَّجَلَّ فِي مَخَاطَبَةِ عِبَادِهِ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ ۖ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ مَرَاعَاةِ الْخَصْمِ، وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَكُمْ بَيِّنَةٌ فَهَاتُوهَا؛

وهذا لا شك من أبلغ ما يكون من العدل؛ وإلا فالحكم لله العلي الكبير.

١٥. **أن أصحاب الجنة هم الذين جمعوا بين وصفين؛ الأول: الإخلاص لله؛**

لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾؛ والثاني: أتباع شرعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

١٦. **أن الأمم الكافرة يُكفر بعضهم بعضاً؛** فهم أعداء بعضهم لبعض من

جهة، وأولياء بعضهم لبعض من جهة أخرى: بالنسبة لنا هم بعضهم لبعض وليي؛ وبالنسبة لما بينهم بعضهم لبعض عدو؛ فالإسلام عدو مشترك لليهودية والنصرانية وسائر الكفار؛ فيجب أن يتولّى بعضنا بعضاً.

مجموعة (ب):

١. **أن أحكام الله سبحانه وتعالى تختلف في الخيرية من زمان إلى زمان؛** بمعنى أنه

قد يكون الحكم خيراً للعباد في وقت؛ ويكون غيره خيراً لهم في وقت آخر.

٢. **أن القادر على تغيير الأمور الحسبية قادرٌ على تغيير الأمور المعنوية؛** فالأمور

القدرية الكونية الله قادرٌ عليها؛ فإذا كان قادراً عليها فكذلك الأمور الشرعية المعنوية؛ وهذا هو الحكمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣. **الردُّ على الجبرية الذين يقولون: «إنَّ الإنسان ليس له إرادةٌ في عمله وأَنَّهُ**

مُجْبَرٌ عَلَيْهِ»؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾.

٤. **إثبات الحكمة لله عزَّ وجلَّ؛** حيثُ أمرَ بالعفو والصفح إلى أن يأتي الله

بأمره؛ لأنَّ الأمر بالقتال قبل وجود أسبابه وتوفُّر شروطه من القوة المادية والبشرية ينافي الحكمة.

٥. أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ لَا ثَوَابَ لَهُمْ عَلَى بَدْعِهِمْ - ولو مع حسن النية-؛ لِعَدَمِ
الإحسان الذي هو المتابعة؛ والأجرُ مشروطٌ بأمرين: الأول: إسلامُ الوجه لله؛
والثاني: الإحسان.



الآيات (١١٤-١١٩)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قَلْبٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا فَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا ۗ وَلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْبَحِيْمِ ﴿١١٩﴾﴾^(١)

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أن المعاصي تختلف قُبْحًا؛** لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ و«أظلم» اسم تفضيل؛ واسم التفضيل يقتضي مُفْضَلًا ومُفْضَلًا عَلَيْهِ، وكما أن المعاصي تختلف، فكذلك الطاعات تختلف؛ بعضها أفضل من بعض؛ وإذا كانت الأعمال تختلف، فالعامل -نتيجة لها- يختلف؛ فبعض الناس أقوى إيمانًا من بعض؛ وبهذا نعرف أن القول الصحيح قول أهل السنة والجماعة في أن الإيمان

(١) غريب الكلمات: «بدئع»: مُشْعَى. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٦/٢).

يزيد وينقص، والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً لا في الكسب القلبي ولا في الكسب البدني؛ فإنَّ الناس يتفاوتون في اليقين، ويتفاوتون في الأعمال الظاهرة من قول أو فعل.

يتفاوتون في اليقين؛ فإنَّ الإنسان نفسه تتفاوت أحواله بين حينٍ وآخر؛ في بعض الأحيان يصفو ذهنه وقلبه وكأَنَّما يشاهد الآخرة رأي عين، وفي بعض الأحيان تستولي عليه الغفلة؛ فيَقِلُّ يقينه؛ ولهذا قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿أَوَلَمْ تَوْتُمْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظْمِنُ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وتفاوتُ الناس في العلم واليقين أمرٌ معلوم: فلو أتى رجل وقال: «قَدِمَ فلان»، والرجل ثقة عندي، صار عندي علم بقدمه؛ فإذا جاء آخر وقال: «قَدِمَ فلان» ازداد علمي؛ فإذا جاء الثالث ازداد علمي أكثر؛ فإذا رأيتَه ازداد علمي؛ فالأمور العِلْمِيَّةُ تتفاوت في إدراك القلوب لها.

أيضاً يتفاوت الناس في الأقوال؛ فالذي يُسَبِّحُ الله عشر مرات أزيدُ إيماناً ممَّن يُسَبِّحُه خمس مرات؛ وهذه زيادة كمية الإيمان. كذلك يتفاوت الناس في الأعمال من حيث جنس العمل: فالمتعبَّد بالفريضة أزيدُ إيماناً من المتعبَّد بالنافلة؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»^(١)؛ فبهذا يكون القولُ الصَّوابُ - بلا ريب - قولُ أهل السنة والجماعة: أنَّ الإيمان يزيد وينقص.

٢. أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوضَعَ فِي الْمَسَاجِدِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِلشَّرْكِ؛ لِأَنَّ ﴿مَسْجِدًا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

الله ﷻ معناها مواضع السجود له؛ فإذا وُضِعَ فيها ما يكون سبباً للشرك فقد خرجت عن موضوعها؛ مثل أن تُقْبِرَ فيها الموتى؛ فهذا محرّم؛ لأنّ هذا وسيلة إلى الشرك.

٣. **أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ؛** لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

٤. **أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ بِالتَّكْوِينِ وَتَكُونُهُ تَرَاخٍ؛** بل يكون على الفورية؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾؛ بالفاء؛ والفاء تدلُّ على الترتيب والتعقيب.

٥. **أَنَّ أَقْوَالَ أَهْلِ الْبَاطِلِ تَشَابَهَ؛** لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [أنصأ: ٥٢-٥٣]؛ وأنت لو تأملت دعاوى الباطلة التي ردّها المشركون رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم من زمنه إلى اليوم لوجدت أنّها متشابهة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢]؛ واليوم يقولون للمتمسكين بالقرآن والسنة؛ هؤلاء رجعيون؛ هؤلاء دراويش لا يعرفون شيئاً.

٦. **أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ إِلَّا الْمُوقِنُونَ؛** لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ وأمّا غير الموقنين فلا تتبين لهم لما في قلوبهم من الريب والشك.

٧. **أَنَّ رِسَالَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَضَمِّنَةٌ؛** لأمرٍ ونهي، وتبشير وإنذار؛ لقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ والحكمة من ذلك ظاهرة؛ وذلك أنّ الإنسان قد يهون عليه فعلُ الأوامر، ويشقُّ عليه ترك المنهيات؛ أو بالعكس؛ فلو

كانت الشريعة كلها أوامر ما تبين الابتلاء في كَفِّ الإنسان نفسه عن المحارم، ولو كانت كلها نواهي ما تبين ابتلاء الإنسان بِحَمْلِ نفسه على الأوامر؛ فكان الابتلاء بالأمر والنهي غاية الحكمة؛ فالشيخ الكبير يهون عليه ترك الزنى؛ ولذلك كانت عقوبته على الزنا أشد من عقوبة الشاب. المهم أن الابتلاء لا يتم إلا بتنوع التكليف؛ فمثلاً الصلاة تكليفٌ بدني، والزكاة بذل للمحبوب، والصيام ترك محبوب، والحجُّ تكليفٌ بدني ومالي.

٨. **أَنَّ وَظِيفَةَ الرَّسُلِ «الإِبْلَاجُ»**؛ وليسوا مُكَلَّفِينَ بِعَمَلِ النَّاسِ؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.

مجموعة (ب):

١. **انفرادُ الله بالملك**؛ لتقديم «الخبر» في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.
٢. **إثباتُ الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لقوله تعالى: ﴿فَشَرَّ وَجْهٍ لِلَّهِ﴾.
٣. **أَنَّ الْأَقْوَالَ تَابِعَةٌ لِمَا فِي الْقُلُوبِ**؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ فلتشابه القلوب تشابهت الأقوال، ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الآيات (١٣٠-١٣٣)

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ ۗ وَلَئِن أُتْبِعَتْ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٣١﴾ يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ۗ وَأِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

من فوائد الآيات (١):

مجموعة (أ):

١. **الحذر من اليهود والنصارى**؛ إذ لا يرضون لأحدٍ حتى يكون يهودياً، أو نصرانياً.
٢. **أن البدع ضلالة**؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]؛ فليس بعد الهدى إلا الضلال؛ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» (٢).
٣. **إثبات «يوم القيامة»**، وأن هذا اليوم شديدٌ يجب اتقاؤه والحذر منه.
٤. **ثبوت أصل الشفاعة في ذلك اليوم**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾؛

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣١ / ٢).

(٢) أخرجه النسائي (١٥٧٩)، وقال الألباني في صحيح النسائي: صحيح.

وثبتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ أَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ ^(١)،
وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ أَنْ لَا يَدْخُلُوا النَّارَ ^(٢)؛ وَفِي مَنْ
دَخَلَ النَّارَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا ^(٣)؛ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْعَمُومُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا
شَفَاعَةٌ﴾ مَخْصُوصًا بِمَا ثَبَتَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الشَّفَاعَةِ.

٥. **أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا تَنْفَعُهُمُ الشَّفَاعَةُ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ

شَفَاعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ الْكُفْرَ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾؛ وَهُوَ بِاعْتِبَارِ مُضَادَّةِ
الْإِسْلَامِ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ أَمَّا بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهِ فَإِنَّهُ مِلَلٌ: الْيَهُودِيَّةُ مِلَّةٌ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ مِلَّةٌ،
وَالْبُودِيَّةُ مِلَّةٌ؛ وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْمِلَلِ؛ وَلَكِنْ كُلُّ هَذِهِ الْمِلَلِ بِاعْتِبَارِ مُضَادَّةِ الْإِسْلَامِ
تَعْتَبَرُ مِلَّةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْكُفْرِ؛ فَتَكُونُ جِنْسًا، وَالْمِلَلُ أَنْوَاعًا.
٢. **أَنَّ لِلْإِيمَانِ عِلْمًا وَعِلْمَهُ الْعَمَلُ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بَعْدَ
قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾.



(١) راجع البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) راجع مسلم (١٩٥).

(٣) راجع البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

الآيات (١٣٤-١٣٤)

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَيْمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ ۖ مَنْ ءَامَنَ مِنهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ۖ وَإِنَّا مَنَاسِكًا وَتُبَّ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَآبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٣٩﴾ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِلَآ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ أَصْطَفَيْنَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٤٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِئْ ۖ قَالَ أَسْمَأْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي ۖ إِنَّ ٱللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ ٱللَّهَ وَآبَآءَكُمُ ۖ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۖ إِلَهُآ وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (١)

(١) غريب الكلمات: «إمامًا»: قدوة يُقتدى بك؛ «مَثَابَةً»: مرجعًا للناس تتعلّق به قلوبهم. (المختصر)

من فوائد الآيات ^(١):

مجموعة (أ):

١. أن الله قد يتلي بعض العباد بتكليفات خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْبَغَ إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ، يَكْمَلُ فَآتَمَّهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾؛ وكما أنه يتلي بعض العباد بتكليفات خاصة شرعية، فإنه قد يتليهم بأحكام كونية؛ مثل: مرض، مصائب في المال، أو في الأهل، وما أشبه ذلك.

٢. فضيلة البيت الحرام من وجهين: أنه «مثابة» و«أمن».

٣. أنه لا غنى للإنسان عن دعاء الله مهما كانت مرتبته؛ فلا أحد يستغني عن الدعاء أبداً؛ لقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾.

٤. أن للدعاء أثراً في حصول المقصود؛ سواء كان دفع مكروه، أو جلب محبوب؛ لأنه لولا أن للدعاء أثراً لكان الدعاء عبثاً، وقول من يقول: «لا حاجة للدعاء؛ إن كان الله كتب هذا فهو حاصل، دعوت أو لم أدع، وإن كان الله لم يكتبه فلن يحصل، دعوت أو لم أدع»؛ فإن جوابنا عن هذا أن نقول: إن الله قد كتبه بناءً على دعائك؛ فإنك إذا لم تدع لم يحصل، كما أنه لو قال: «لن أكل الطعام؛ فإن أراد الله لي الحياة فسوف أحيى ولو لم آكل؛ وإن كان يريد أن أموت فسوف أموت ولو ملأت بطني إلى حلقومي»؛ نقول: لكن الأكل سبب للحياة؛ فإنكار أن يكون الدعاء سبباً إنكار أمور بديهيات؛ لأننا نعلم علم اليقين فيما أخبرنا به، وفيما شاهدناه، وفيما جرى علينا أن الله سبحانه وتعالى يُقدِّر

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٤٢ / ٢).

الأشياء بالدعاء؛ فالله تعالى قصَّ علينا في القرآن قصصاً كثيرة فيها إجابة للدعاء؛ كذلك يجري للإنسان نفسه أشياء يدعو الله بها فيشاهدها رأي العين أنها جاءت نتيجة لدعائه؛ فإذا الشرع والواقع كلاهما يُبطل دعوى من أنكر تأثير الدعاء.

٥. **أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ شَامِلٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ؛** لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾؛ فالرِّزْقُ عام شامل للمؤمن والكافر؛ بل للإنسان والحيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]؛ وأنت ترى بعض «الخشاش» في الأرض ما حوله شيء، ولكن يسر الله له الرزق يُجلب إليه من حيث لا يشعر ولا يحتسب، ويُذكر في هذه الأمور قصص غريبة، ويُشاهد بعض الحيوانات الصغيرة الصمَّاء يجلب الله لها رزقاً كلما احتاجت إلى ذلك فتأكله؛ والله على كل شيء قدير.

٦. **إثبات العلم لله تبارك وتعالى جملةً وتفصيلاً؛ موجوداً أو معدوماً؛** **ممكناً أو واجباً أو مستحيلاً؛** مثال علمه بالجملة: قوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]؛ ومثال علمه بالتفصيل: قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ ومثال علمه بالموجود: ما أخبر الله به عن علمه بما كان، مثل قول الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ

أَنْفُسَكُمْ ﴿البقرة: ١٨٧﴾؛ ومثال علمه بالمعدوم الذي قد وُجد: ما عَلِمَهُ اللهُ من أحوال الماضين؛ ومثال علمه بالمعدوم الذي لم يُوجد بعد: ما عَلِمَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ من أحوال يوم القيامة، ومآل الخلق؛ ومثال علمه بالممكن: ما علمه اللهُ عَزَّجَلَّ من الحوادث الواقعة من الإنسان؛ ومثال علمه بالمستحيل: قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَاهُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةَ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

واعلم أن من أنكر علم الله فهو كافر، سواء أنكره فيما يتعلق بفعله، أو فيما يتعلق بخلقه؛ فلو قال: إن الله تعالى لا يعلم ما يفعله العبد، فهو كافر، كما لو قال: إن الله لا يعلم ما يفعله بنفسه؛ ولهذا كفر أهل السنة والجماعة غلاة القدرية الذين قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم أفعال العباد؛ فالذي يُنكر علم الله بأفعال العباد لا شك أنه كافر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]؛ فالذي يقول إن الله لا يعلم أفعال العباد، فإنه كافر بهذه الآيات؛ ولهذا قال الشافعي في القدرية: «ناظروهم بالعلم؛ فإن أقرُّوا به خُصِّموا، وإن أنكروه كفروا»؛ ولإيمانك بهذا يُوجب له مراقبته، والخوف منه، وامتنال أمره واجتناب نهيهِ؛ لأنك متى علمت أنه عالمٌ بك فإنك تخشاه؛ تستحي منه عند المخالفة؛ وترغب فيما عنده عند الموافقة.

٧. **أن الدعاء يكون باسم «الرب»؛ لأن الدعاء من شأن الربوبية؛ لأنها خلقت وإيجاد.**

٨. **أن الإنسان مُفْتَقِرٌ إلى تثبيت الله؛ وإلا هلك؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَجَعَلْنَا مُسَائِمِينَ﴾؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيان؛ ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

٩. **أنه ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدعاء؛** لأن الذرية الصالحة آثار الإنسان الصالحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتًا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾؛ وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم في آية أخرى: ﴿وَأَجْبُنِي وَيَخَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ فالذرية صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان.

١٠. **أن الأعمال بالخواتيم؛** لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.
١١. **أن التوحيد وصية الأنبياء؛** لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾.

١٢. **أن الموت حق،** حتى على الأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

١٣. **أهمية التوحيد والعناية به؛** لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾.
١٤. **أن أبناء يعقوب كانوا على التوحيد؛** حيث قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾؛ وهذا لا شك توحيد منهم.

مجموعة (ب):

١. **فضيلة إبراهيم صلى الله عليه وسلم**؛ لقوله تعالى: ﴿رَبُّهُ﴾؛ حيث أضاف ربوبيته إلى إبراهيم -وهي ربوبية خاصة-؛ ولقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ ولقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

٢. **أهمية القبول، وأن المدار في الحقيقة عليه وليس على العمل**؛ فكم من إنسان عمل أعمالاً كثيرة وليس له من عمله إلا التعب، فلم تنفعه؛ وكم من إنسان عمل أعمالاً قليلة قبلت فنفعه الله بها؛ ولهذا جاء في الحديث: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ»^(١).

٣. **التوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَا يَدْعُو بِهِ**؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

٤. **أن الأصل في العبادات أنها توقيفية**؛ يعني: الإنسان لا يتعبد لله بشيء إلا بما شرع؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

٥. **الإشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نسكت عما جرى بين الصحابة**؛ لأننا نقول كما قال الله لهؤلاء: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾؛ فنحن معنيون الآن بأنفسنا؛ ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نُظَهِّرُ أَلْسِنَتَنَا مِنْهَا»؛ هذه كلمة عظيمة؛ فعلى هذا: النزاع فيما جرى بين معاوية وعلي بن أبي طالب وعائشة وما أشبه ذلك لا محلَّ له؛ لكن الذي يجب أن نعنتي به

(١) أخرجه أحمد، واللفظ له، وابن ماجه (١٦٩٠)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح.

حاضر الأمة؛ هذا الذي يجب أن يُبينَ فيه الحق، ويُبطلَ فيه الباطل؛ ونقول:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



الآيات (١٣٥-١٤١)

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ التَّيْبُونُ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفِرُ فِيمَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾^(١).

من فوائد الآيات^(٢):

مجموعة (أ):

١. أن أهل الباطل يدعون إلى ضلالهم، ويدعون فيه الخير؛ ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾: هذه دعوة إلى ضلال؛ ﴿تَهْتَدُوا﴾: ادعاء أن ذلك خير؛ وهكذا أيضاً قد

(١) غريب الكلمات: «حَنِيفًا»: المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق؛ «الْأَسْبَاطُ»: الأنبياء من

ولد يعقوب؛ «مُسْلِمُونَ»: مُتَقَادُونَ خاضعون. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/ ٨٤).

ورث هؤلاء اليهود من ضلَّ من هذه الأمة؛ كأهل البدع في العقيدة، والقَدْر، والإيمان الذين ادَّعوا أنَّهم على حق، وأنَّ من سَلَكَ طريقهم فقد اهتدى؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرْكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

٢. **أَنَّ كُلَّ دَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**؛ دُعاة السُّفُور الآن يقولون: اتركوا المرأة تتحرَّر؛ اتركوها تبتهج في الحياة؛ لا تقيِّدوها بالغطاء وتَرَكِ التبرُّج، ونحو ذلك؛ أعطوها الحرية؛ وهكذا كل داعٍ إلى ضلالة سوف يَطْلِي هذه الضلالة بما يَغُرُّ البليد؛ فهو شبيه باليهود والنصارى.

٣. **أَنَّ الشَّرْكَ مَمْتَنَعٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ**؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٤. **أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ نَوْعٌ مِنَ الشَّرْكِ**؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في مقابل دعوتهم إلى اليهودية والنصرانية يدلُّ على أنَّهما نوع من الشرك؛ كلُّ من كفر بالله ففِيهِ نَوْعٌ مِنَ الشَّرْكِ؛ لكن إن اتَّخَذَ إلهًا فهو شرك حقيقة وواقعًا؛ وإلا فإِنَّهُ شِرْكٌ باعتبار اتِّبَاعِ الْهَوَى.

٥. **أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِرَاقَبَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ**؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سامعٌ لها لا يخفى عليه الصوت مهما خفي؛ بل هو يعلم عَزَّوَجَلَّ ما توسوس به نفسُ الإنسان وإن لم يتكلَّم به.

٦. **أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّشْبِيهُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ**؛ لأنَّ المشابهة موافقة في العمل؛ لهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢)؛ وهنا قال تعالى: ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾؛ فنحن متميِّزون عنكم، وأنتم متميِّزون عنَّا.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

مجموعة (ب):

١. أن الذين يؤمنون بوجود الله لكن يُشركون معه غيره - في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته - لم يكونوا مؤمنين.

٢. أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرُّسل، على حدِّ سواء في أصل الإيمان؛ وأما الشرائع فلكلِّ منهم جعل الله شريعةً ومنهاجاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِكْلِ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]؛ فنحن مأمورون باتباع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي نَسخت جميع الأديان؛ أمَّا في الإيمان بأنَّهم رُسل من عند الله، وأنَّهم صدَّقوا بما جاءوا به فإنَّنا لا نفرِّق بين أحدٍ منهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٣. الإشارة إلى البداءة بالأهم، وإن كان متأخراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ مع أن ما أنزل إلينا متأخراً عمَّا سبق.

٤. أنه ينبغي للمؤمن أن يشعر أنه هو وإخوانه كنفَسٍ واحدة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً»^(١) وشبَّك بين أصابعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَحَنَّنْ لَّهُمُ اللَّهُ مُسْلِمُونَ﴾: فأتى بضمير الجمع: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ ﴿وَتَحَنَّنْ﴾.

٥. الرَّدُّ على أهل التحريف في أسماء الله وصفاته الذين يقولون: «إنَّ هذا

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

جائز عقلاً على الله؛ فنقرُّ به؛ وهذا يمتنع عقلاً على الله؛ فلا نقرُّ به؛ كالمعتزلة والأشاعرة ونحوهم؛ نقول لهم كُلهم في الجواب: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾: أنتم أعلم بما يجوز على الله، ويمتنع عليه، ويجب له؛ أم الله أعلم بما يمتنع عليه ويجب له ويجوز له؟! وهذه في الحقيقة حُجَّةٌ مُلْزِمةٌ مُفْحِمةٌ مُفْحِمةٌ لهؤلاء الذين يتحكّمون في صفات الله تعالى بعقولهم؛ فيقولون: «يجب لله كذا... يمتنع عليه كذا»؛ نقول: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾.



الآيات (١٤٢-١٥٠)

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِن أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن أَتَيْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِسَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّوْا عَلَيَّكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

من فوائد الآيات^(١) :

مجموعة (أ) :

١. تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ حيث أخبر الله تعالى أنه لا يعترض عليه في ذلك إلا سفيه.

٢. إعلام المرء بما يتوقع أن يكون ليستعد له؛ ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»؛ ليكون مستعداً^(٢).

٣. عموم ملك الله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾؛ فهو المملكُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى للجهات؛ يُصَرِّفُ إليها العباد كيف يشاء؛ ونحن ليس علينا إلا السمع والطاعة؛ أينما وُجِّهنا توجَّهنا؛ هذا المهم، لا أن تتجه إلى كذا أو إلى كذا؛ فالسجود لغير الله شرك؛ وكان بالنسبة للملائكة حين أمرهم الله بالسجود لآدم طاعة وعبادة؛ وقتل النفس بغير حق - ولا سيما قتل الولد- من أكبر الكبائر؛ وحين أمر الله تعالى إبراهيم أن يذبح ابنه كان قربة وعبادة؛ فالاعتبار بطاعة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

٤. فضل هذه الأمة على جميع الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَطًا﴾.

٥. أن هذه الأمة تشهد على الأمم يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ﴾؛ والشهادة تكون في الدنيا والآخرة؛ فإذا حُشِرَ الناس، وسئل الرُّسُلُ:

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

هل بُلِّغتم؟ فيقولون: نعم؛ ثم تُسألُ الأمم: هل بُلِّغتم؟ فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير؛ ما جاءنا من أحد؛ فيقال للرسول من يشهد لك؟ فيقول: «محمدٌ وأُمَّتُهُ»؛ يُستشهدون يوم القيامة، ويشهدون؛ فيكونون شهداء على الناس. فإذا قال قائل: كيف تشهد وهي لم تر؟ نقول: لَكِنَّهَا سَمِعَتْ عَمَّنْ خَبَرَهُ أَصْدُقُ مِنَ الْمَعَايِنَةِ، صلوات الله وسلامه عليه.

٦. **أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ شَهِيدًا عَلَيْنَا بِالْعَدَالَةِ، وَقِيلَ: شَهِيدًا عَلَيْنَا بِأَنَّهُ بَلَغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ؛ وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَصَلَ لَهُ مَعَ الصَّحَابَةِ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ؛ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ؛ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١)؛ فَأَشْهَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَلَى إِقْرَارِ أُمَّتِهِ بِالْبَلَاغِ؛ نَعَمْ؛ لَقَدْ بَلَغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَا مَاتَ حَتَّى أَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَمَا بَقِيَ شَيْءٌ يَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ -صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا- إِلَّا بَيْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانًا وَاضِحًا -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ-؛ فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]؛ يَعْنِي: كَيْفَ تَكُونُ الْحَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسْبُكَ»؛ يَعْنِي: قَفْ؛ قَالَ: «فَإِذَا**

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٢١٨).

عَيْنَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرِفَانِ»^(١)؛ لَأَنَّ الأَمْرَ عَظِيمٌ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدٌ عَلَيْنَا؛ يَشْهَدُ بِأَنَّا بُلُغْنَا، وَلِهَذَا لَا عِذْرَ لِأَحَدٍ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى أَنْ يُشَاقَّ اللهُ وَرَسُولَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

٧. **إِظْهَارُ مِنَّةِ اللهِ عَزَّجَلَّ عَلَيَّ مِنْ هِدَاةِ اللهِ؛** لَأَنَّهُ نَسَبَ الْهُدَايَةَ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾؛ وَهَذِهِ أَعْظَمُ مِنَّةٍ مِّنَ اللهِ بِهَا عَلَيْهِ أَنْ هِدَاةَ لِلْإِسْلَامِ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَشْعُرَ بِهَا الْإِنْسَانُ؛ لَا يَمُنُّ بِدِينِهِ عَلَى رَبِّهِ؛ بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْمِنَّةَ لِلَّهِ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمُنُونَ بِكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]؛ فَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ مَعَ بَيَانِهِ وَوَضُوحِهِ؛ وَهَمَّ كَثِيرُونَ؛ بَلْ هُمُ الْأَكْثَرُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ وَانظُرْ إِلَى الْفَضْلِ، وَالْكَرَمِ؛ هُوَ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْهُدَايَةِ، ثُمَّ يَقُولُ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؛ فَكَأَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَحْسَنَّا؛ فَأَحْسَنَ إِلَيْنَا بِالْجَزَاءِ مَعَ أَنَّ لَهُ الْإِحْسَانَ أَوْلَى، وَآخِرًا؛ هُوَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْنَا أَوْلَى، وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا آخِرًا؛ وَلَكِنْ هَذِهِ مِنْ مِنتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمِنْ شُكْرِهِ لِسَعْيِ عَبْدِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

٨. **أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾؛ فَإِنَّهَا فَسَّرَتْ بِالصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ؛ وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

العمل داخل في الإيمان؛ وهذا أحد أدلتهم؛ ومن الدليل على ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستون، شُعبَةٌ، فأفضلُها قولُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأذناها إماطةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»^(١)؛ ف«قول لا إله إلا الله» من أعمال اللسان؛ و«إماطة الأذى عن الطريق» من أعمال الجوارح؛ وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحياءُ شعبة من الإيمان» من أعمال القلوب؛ كما أَنَّ الإِيمَانُ أَيْضاً يُطَلَّقُ عَلَى الاعتقاد؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ»^(٢)؛ فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ» هذا اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح؛ ووجه كون الأعمال من الإيمان أَنَّها صادرة عن إيمان؛ الإيمان هو الذي حَمَلَ عَلَيْهَا؛ ولهذا لا يُعَدُّ عمل المنافق من الإيمان؛ عمل المنافق -صلاته، وذكره الله، ونفقاته- لا يُعَدُّ من الإيمان؛ لأنَّه صادرٌ عن غير إيمان.

٩. **أَنَّ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ لَيْسَ سَوْءَ أَدَبٍ مَعَ اللهِ؛** لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾؛ لكن في الصلاة لا يَرَفَعُ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ لورود الوعيد الشديد به.

١٠. **وَجُوبُ الاتِّجَاهِ إِلَى القِبْلَةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ الإِنْسَانُ مِنْ بَرٍّ، أَوْ بَحْرٍ، أَوْ**

جَوْ؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَةَ﴾؛ ويشمل من كان في مكة، ومن كان بعيداً عنها، ومن كان في جوف الكعبة؛ لعموم قوله تعالى:

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩٣).

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾؛ إذا إذا كان في جوف الكعبة يستقبل أمام وجهه من أيّ الجهات كان؛ إلا أن بعض أهل العلم يقول: لا يستقبل الباب إذا كان مفتوحاً ما لم يكن له عتبة؛ لأنّه لا بد من شاخص يكون بين يديه حتى يصحّ أن يُقال: إنّه ولّى وجهه شطره؛ وإذا كنا خارج الكعبة -ولكن في المسجد- فإننا ندور حوله؛ لأننا لو استقمنا في صف مستقيم لم نُؤلّ وجوهنا شطره؛ ويكون من خرج عن مُسامتته ولّى وجهه جهةً غيره؛ لأنّه محصور الآن، وإذا ابتعدنا، فإنّ بعض العلماء يقول: إن كنت في مكة فاستقبل المسجد؛ وإن كنت خارج مكة فاستقبل مكة؛ لكن هذا تقريبي؛ إنّما الصواب في هذه المسألة أن من أمكّنهُ مشاهدة عين الكعبة وجبّ عليه استقبال العين -لا يخرج عن مسامتتها-؛ ومن لا يمكن مشاهدتها، لِيُعد أو حيلولة شيء دونها، استكفى بالجهة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ويسقط استقبال القبلة في مواضع؛ منها:

- ١ - عند صلاة النفل في سفر؛ فيصلّي حيث كان وجهه.
- ٢ - عند الخوف الشديد إذا كان لا يمكن استقبال القبلة.
- ٣ - إذا كان عاجزاً عن استقبال القبلة؛ لمرض، أو صلّب -يعني: لو صلّب إلى غير القبلة-، أو نحو ذلك.

أمّا إذا اشتبهت عليه القبلة فعليه أن يجتهد إن كان بمكانٍ يصح فيه الاجتهاد؛ فإن أصاب فذاك؛ وإن أخطأ فهو معذور؛ إذا فالاشتباه لا يُستثنى؛ لأن حقيقة الأمر أنّه لا يجوز أن يصلّي إلّا وهو يعتقد أنّه إلى القبلة؛ بخلاف الذي ذكرنا؛

فالعاجز يعرف أن القبلة خلفه، فيصلي إلى غير القبلة؛ وكذلك في شدة الخوف؛ وكذلك المتنفل في السفر.

١١. **أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُؤَاخِذُ بِالْمُخَالَفَةِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ؛** لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَعَدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾؛ فالإنسان قد يتابع غيره جهلاً؛ فلا يؤاخذ به، وإن كان يُسمَّى ضالاً؛ لكنه ليس بظالم؛ لأنه لم يتعمد المخالفة؛ لا يتحقق الظلم إلا لمن عرف الحق وخالفه.

١٢. **دفع ملامة اللائمين ما أمكن؛** لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّأَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.
١٣. **أَنَّ الظالم لا يدفع ملامته شيء؛** بمعنى أنه سيلوم وإن لم يكن محلّ لوم؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

١٤. **أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ يَحَاجُّونَ فِي الْحَقِّ لِإِبْطَالِهِ؛** ولكنَّ حُجَجَهُمْ باطلة. ويتفرغ على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يعرف شبهة المخالفين التي يدعونها حُججاً؛ لِيَنْقُضَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا فَيُطِيلُهَا؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

مجموعة (ب):

١. **من اعترض على حكم الله فهو «سفيه».**
٢. **أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ شَرْعاً أَنْ يَتَّبِعَ الْمُسْلِمَ طَرِيقَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛** لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَالِعٍ قِبَلَتَهُمْ﴾؛ وجه الاستحالة: أن الجملة جاءت بالاسميّة المؤكّدة بحرف الجر في سياق النفي؛ فالمؤمن حقيقة لا يمكن أن يتابع أعداء الله، ولا أن يأخذ بآرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم؛ وقد حمى النبي صلى الله عليه

وسلّم ذلك غاية الحماية؛ حيث قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١)؛ حتى نَحَدَّرَ وَنَبَعُدَ عن التشبُّه بأعداء الله والتقليد لهم، سواءً في أمور العبادة أو في أمور العادة؛ فَإِنَّ التشبُّه بأعداء الله حرام؛ وقد يُوَدِّي إلى الكفر والشرك، والعياذ بالله.

٣. أَنَّهُ قَدْ يُنْهَى عَنِ الشَّيْءِ مَعَ اسْتِحَالَةِ وَقُوعِهِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُتَمَرِّينَ﴾؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَمْتَرِينَ.

٤. وَجُوبُ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضَّرْرُ.



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

الآيات (١٥١-١٥٧)

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَدْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾^(١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. بيانُ نعمة الله تعالى علينا بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾؛ لأنَّ هذه الآية متعلِّقة بقوله تعالى: ﴿وَلِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ فإنَّ هذا من تمام النعمة؛ وذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبد بما شرع؛ ولا يمكن أن نعرف أنَّ هذا ممَّا يرضاه الله أن نتعبده به وهذا ممَّا لا يرضاه إلا بواسطة الرُّسل؛ ولو أنَّ الإنسان وُكِّلَ إلى عقله في العبادة ما عَرَفَ كيف يعبد الله؛ ولو وُكِّلَ إلى عقله في العبادة ما اجتمع الناس

(١) غريب الكلمات: «صلواتٌ من ربِّهم»: ثناءٌ من الله عليهم في ملأ الملائكة الأعلى. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/ ١٦١).

على عبادة الله؛ لكان كل واحد يقول: هذا هو الصواب؛ ولو أن الإنسان وكَلَّ إلى عقله في العبادة ما كانت أُمَّتْنَا أُمَّةً واحدة؛ فعلى كل حال لا يمكن لنا بمجرّد عقولنا أن ندرك كيف نعبُد الله؛ ومثَل يسير يبيِّن ذلك: لو أمرنا بالتطهّر للصلاة - ولم يُبيِّن لنا الكيفية - لتنازع الناس في ذلك؛ وأخذ كلُّ برأيه؛ فافتَرقت الأُمَّة؛ فلولا أن الله أبان لنا كيف نعبده ما عرفنا كيف نعبُدُه، فهذا من نعمة الله علينا من إرسال هذا الرسول محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يبيِّن لنا كل شيء؛ ولهذا قال أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ»^(١)؛ حتى الطيور التي في السماء علّمتنا عنها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. **أَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ تَزَكِيَةٌ لِلنَّفُوسِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ؛** لقوله تعالى:

﴿وَتَزَكِّيَكُمْ﴾.

٣. **فَضِيلَةُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَشْرَفِ أَوْصَافِ الْإِنْسَانِ؛** لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٤. **الْإِرْشَادُ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالصَّلَاةِ؛** لقوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

٥. **جَوَازُ الْاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَعِينُ فِيهِ؛** لقوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾؛ وجاء في الحديث: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً»^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

٦. إثبات حياة الشهداء؛ لكنها حياةٌ برزخيةٌ لا تماثل حياة الدنيا؛ بل هي أجلٌ وأعظم، ولا نعلمُ كيفيتها.

٧. ابتلاءُ العباد بما ذَكَرَ اللهُ من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفسِ والثمرات؛ وهو لمن وقع به ظاهر؛ ولغيرهم يكون الابتلاء بالاعتبار والخوف أن يقع بهم مثل ما وقع بالذين أُبتلوا.

٨. أَنْ مِنْ سِمَةِ الصَّابِرِينَ تَفْوِيضُ أَمْرِهِمْ إِلَى اللَّهِ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا أَصَابَتْهُمُ الْمُصِيبَةُ قَالُوا: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾.

مجموعة (ب):

١. أَنْ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ الْأُمَّةَ لَفْظَ الْقُرْآنِ وَمَعْنَاهُ؛ ولهذا إذا استشكل الصحابة شيئاً من المعنى سألوهُ، فعَلَّمَهُمْ؛ ولكنَّ الغالب أَنَّهُمْ لَا يَسْتَشْكِلُونَ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ، وَفِي عَصْرِهِمْ؛ يَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ، وَمَغْزَاهُ، وَأَسْبَابَهُ.

٢. أَنْ الْأَصْلَ فِي الْإِنْسَانِ الْجَهْلُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؛ وهو ممَّا يدلُّ على نقص الإنسان؛ حيثُ كان الأصل فيه الجهل؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]؛ ثم قال عزَّجَلَّ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]؛ فبيَّن طرق العلم: «السمع والبصر»؛ وبهما الإدراك، و«الأفئدة»؛ وبها الوعي والحفظ.

٣. أَنَّ الاسْتِعَانَةَ بِالصَّلَاةِ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

٤. إثبات معية الله سبحانه وتعالى؛ ومعيته تعالى نوعان:

النوع الأول: عامة لجميع الخلق، ومقتضاها الإحاطة بهم علماً وقدرةً وسلطاناً وسمعاً وبصراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَانٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرٌ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

والنوع الثاني: خاصة، ومقتضاها مع الإحاطة: النصر والتأييد؛ وهي نوعان: مقيدة بوصف؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومقيدة بشخص؛ كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقوله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٥. عظم ثواب الصبر؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾.



الآيات (١٥٨-١٦٣)

﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾^(١).

من فوائد الآيات^(٢):

مجموعة (أ):

١. أن الطواف بالصفى والمروة من طاعة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٢. أن الكتب السماوية كلها بيان للناس، لأن قوله تعالى: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ المراد به الجنس، لا العهد؛ فالله تعالى بين الحق في كل كتاب أنزله؛ لم يترك الحق غامضاً؛ بل بيّنه لأجل أن تقوم الحجّة على الخلق؛ لأنه لو كان الأمر غامضاً لكان للناس حجة في أن يقولوا: ما تبين لنا الأمر.

(١) غريب الكلمات: «شعائر»: معالم الشريعة الظاهرة. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (١٩٦/٢).

٣. أن توبة الكاتمين للعلم لا تكون إلا بالبيان، والإصلاح؛ لقوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾: ثلاثة شروط:

الأول: التوبة؛ وهي الرجوع عمّا حصل من الكتمان.

الثاني: الإصلاح لما فسّد بكتمانهم؛ لأنّ كتمانهم الحقّ حصل به فساد.

الثالث: بيان الحقّ غاية البيان.

وبهذا تُبدّل سيئاتهم حسنات.

٤. كثرة توبة الله، وكثرة من يتوب عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿التَّوَابُ﴾؛ والتوبة

هي الرجوع إلى الله من معصيته إلى طاعته؛ فيرجع من الشرك إلى التوحيد؛

ومن الزنى إلى العفاف؛ ومن الاستكبار إلى الدّلّ والخضوع؛ ومن كلّ معصية

إلى ما يقابلها من الطاعة، وشروطها خمسة: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، والندم

على الذنب، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعود، وأن تكون التوبة

في وقتٍ تُقبل فيه.

الشرط الأول: الإخلاص لله بأن يكون قصده بالتوبة رضا الله، وثواب

الآخرة، وألاّ يحملّه على التوبة خوفٌ مخلوق، أو رجاءٌ مخلوق، أو علو مرتبة،

أو ما أشبه ذلك.

الشرط الثاني: الندم على ما جرى منه من الذنب؛ ومعنى «الندم» أن يتحسّر

الإنسان أن وقع منه هذا الذنب.

الشرط الثالث: الإقلاع عن المعصية؛ وهذا يدخل فيه أداء حقوق العباد

إليهم؛ لأنّ من لم يؤدّ الحقّ إلى العباد فإنّه لم يُقلع؛ فهو ليس شرطاً مستقلاً كما

قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ؛ وَلَكِنَّهُ شَرْطٌ دَاخِلٌ فِي الْإِقْلَاعِ؛ إِذْ إِنَّ مَنْ لَمْ يُوَدِّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ لَمْ يُقْلَعْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

الشرط الرابع: أَنْ يَعِزَّمَ أَلَا يَعُودَ؛ فَإِنْ لَمْ يَعِزَّمَ فَلَا تَوْبَةَ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّرْطِ أَلَّا يَعُودَ؛ فَإِذَا صَحَّتْ التَّوْبَةُ ثُمَّ عَادَ إِلَى الذَّنْبِ لَمْ تَبْطُلْ تَوْبَتُهُ الْأُولَى؛ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ التَّوْبَةِ.

الشرط الخامس: أَنْ تَقَعَ التَّوْبَةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ؛ يَعْنِي أَنْ تَكُونَ فِي وَقْتِ قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَإِذَا كَانَ بَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ لَمْ تُقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ [النساء: ١٨]، وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لَمْ تُقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

وَهَلْ تَصِحُّ التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى غَيْرِهِ؟ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ؛ الْأُولَى: أَنَّهَا تَصِحُّ؛ وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَصِحُّ إِنْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ؛ وَالثَّلَاثُ: لَا تَصِحُّ؛ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ «التَّائِبِينَ» عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ؛ فَلَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ «التَّائِبِ»، وَلَا يَدْخُلُ فِي مَدْحِ التَّائِبِينَ؛ لِأَنَّ تَوْبَتَهُ مُقَيَّدَةٌ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْمَعْيَّنِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ:

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٠٣٠)، وَقَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي تَخْرِيجِ جَامِعِ الْأَصُولِ لِابْنِ الْأَثِيرِ: رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ

إذا تاب رجل من الزنى لكنه يتتبع النساء بالنظر المحرّم؛ فإنّ توبته من الزنى تصح على القول الراجح؛ لكن لا يستحق وصف التائب على سبيل الإطلاق، وعلى القول بأنّها تصح إذا كانت من غير الجنس: فإنّها لا تصح؛ وإذا تاب من الزنى مع الإصرار على الربا فإنّها تصح؛ لأنّ الربا ليس من جنسه؛ إلا على القول الثالث الذي يقول بأنّها لا تصح إلا مع الإقلاع عن جميع الذنوب.

٥. **اختصاص الألوهية بالله عزّ وجلّ؛** لقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فإن قال قائل: إنّ هؤلاء المشركين قد يُفْتَنون بهذه الآلهة، فيدعونها، ثم

يأتيهم ما دَعَوْا به؛ فما الجواب؟

فالجواب عن هذا: أنّ الأصنام لم تُوجد ما دعوا به قطعاً؛ لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِئِمَةِ وَهُمْ عَن

دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥-

٦]، ولقوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ

الْفِئِمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَبْتَئِكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤]؛ فيكون حصول ما

دَعَوْا به من باب الفتنة التي يضل بها كثير من الناس؛ والذي أوجدها هو الله

عزّ وجلّ؛ لكن قد يمتحن الإنسان بتيسير أسباب المعصية ابتلاءً من الله عزّ وجلّ؛

فيكون هذا الشيء حصل عند دعاء هذه الأصنام لا به.

مجموعة (ب):

١. **أنّ كتم العلم من كبائر الذنوب؛** يؤخذ من ترتيب اللعنة على فاعله؛

والذي يترتب عليه اللعنة لا شك أنّه من كبائر الذنوب.

٢. إثباتُ عُلُوِّ الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾؛ والنزول يكون من أعلى؛
وعُلُوُّ الله بذاته ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.
٣. أن كلَّ ذنب - وإن عَظُمَ - إذا تاب الإنسان منه فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتُوبُ
عليه.
٤. أنه قد يكون للاسم من أسماء الله معنًى إذا انفرد ومعنًى إذا انضمَّ إلى
غيره؛ لأنَّ «الرحمن» لو انفرد لدلَّ على الصفة والحكم؛ وإذا جُمِعَ مع
«الرحيم» جُعِلَ «الرحمن» للوصف، و«الرحيم» للفعال.



الآيات (١٦٤-١٦٧)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقِ الْيَلِيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن بعض الناس يجعل لله نداً في المحبة يُحِبُّه كَحُبِّ اللَّهِ؛ لقوله تعالى:

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

٢. أن المؤمن محبٌ لله عَزَّجَلَّ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّةِ هَؤُلَاءِ لِأَصْنَامِهِمْ؛ لقوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

(١) غريب الكلمات: «الْفُلْكَ»: السفن؛ «الْأَسْبَابُ»: أسباب النجاة ووسائلها. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢ / ٢١٩).

٣. **أَنَّ الْمَتَّبِعِينَ بِالْبَاطِلِ لَا يَنْفَعُونَ أَتْبَاعَهُمْ؛** لقوله تعالى: ﴿إِذْ نَبَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾.

٤. **أَنَّ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا تُرْضِي اللَّهُ وَرَسُولَهُ تَنْقَطِعُ بِأَصْحَابِهَا** يوم القيامة وتزول ولا تنفعهم.

٥. **أَنَّ الْمَشْرِكِينَ مَخْلُدُونَ فِي النَّارِ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا؛** لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾؛ وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخلود الأبدي في النار في ثلاثة مواضع من القرآن: في سورة النساء، وفي سورة الأحزاب؛ وفي سورة الجن؛ وبِهِ يُبْطَلُ قول من ادَّعى أن النار تنفى؛ لأنَّ خلودَ الماكِثِ الأبدي يدلُّ على خلود مكانه.
مجموعة (ب):

١. **عِظَمَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛** لقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَظِيمٌ﴾؛ فلولا أَنَّهُ عَظِيمٌ ما كان آيات.

٢. **مَدْحُ الْعَقْلِ؛** وَأَنَّهُ بِهِ يَسْتَظْهَرُ الْإِنْسَانُ الْآيَاتِ الَّتِي تَزِيدُهُ إِيمَانًا وَيَقِينًا؛ لقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

٣. **أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ مِنَ الْعِبَادَةِ؛** لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنْ سَوَى غَيْرِهِ فِيهَا مَشْرِكًا مَتَّخِذًا لِلَّهِ نِدَاءً؛ فَاَلْمَحَبَّةُ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ بَلْ هِيَ أَسَاسُ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ أَسَاسَ الْعِبَادَةِ مَبْنِي عَلَى الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ؛ فَبِالْحُبِّ يُفْعَلُ الْمَأْمُورُ؛ وَبِالتَّعْظِيمِ يُجْتَنَبُ الْمَحْظُورُ؛ هَذَا إِذَا اجْتَمَعَا؛ وَإِنْ انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا اسْتَلْزَمَ الْآخَرَ.

٤. **أَنَّ مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً فِي الْمَحَبَّةِ فَهُوَ ظَالِمٌ؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابَ﴾.



الآيات (١٦٨-١٧٣)

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ
 عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَانَ ءَابَاؤُهُمْ
 لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ
 إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
 رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ
 وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. إظهار منة الله على عباده؛ حيث أباح لهم جميع ما في الأرض من حلالٍ طيبٍ؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾.
٢. تحريم اتباع خطوات الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ ومن ذلك: الأكل بالشمال والشرب بالشمال؛ لقول النبي

(١) غريب الكلمات: «يَنْعِقُ»: يصيح. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/ ٢٣٥).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَأْكُلُ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبُ بِشِمَالِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١)، وَمِنْ اتِّبَاعِ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانَ «الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ»؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ قِيَاسًا فَاسِدًا هُوَ إِبْلِيسُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ عَارَضَ هَذَا الْأَمْرَ بِقِيَاسٍ فَاسِدٍ: قَالَ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ يَعْنِي: فَكَانَ الْأَوْلَى هُوَ الَّذِي يَسْجُدُ؛ فَهَذَا قِيَاسٌ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ؛ فَاسِدٌ الْإِعْتِبَارِ، وَمِنْ اتِّبَاعِ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانَ أَيْضًا «الْحَسَدُ»؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ حَسَدًا لِأَدَمَ؛ وَهُوَ أَيْضًا دَابُّ الْيَهُودِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]؛ وَكُلُّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، أَوْ عَمَلٌ سَوْءٍ، فَإِنَّهُ مِنْ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانَ.

٣. تَأْكِيدُ عِدَاوَةِ الشَّيْطَانَ لِبَنِي آدَمَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٤. أَنَّ لِلشَّيْطَانَ إِرَادَةً وَأَمْرًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾.

٥. أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ هَمٌّ بِالسَّيِّئَةِ أَوْ الْفَاحِشَةِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهَا مِنْ أَوْامِرِ

الشَّيْطَانَ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

٦. أَنَّ الْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ مِنْ أَوْامِرِ الشَّيْطَانَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَالَه؛ هَذَا جَائِزٌ؛ وَيَصِلُ إِلَى

حَدِّ الْوَجُوبِ إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

القسم الثاني: أن يقول على الله ما يعلم أن الله قال خلافه؛ فهذا حرام؛ وهذا أشد الأقسام لما فيه من محادة الله.

القسم الثالث: أن يقول على الله ما لا يعلم أن الله قاله؛ وهذا حرام أيضاً. فصار القول على الله حراماً في حالين؛ إحداهما: أن يقول على الله ما لا يعلم أن الله قاله أم لم يقله؛ والثانية: أن يقول على الله ما يعلم أن الله قال خلافه. ويشمل القول على الله في أسمائه، مثل أن يقول: إن أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام مجردة لا تحمل معاني ولا صفات: فهو سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعليم بلا علم؛ فهو عليم بذاته - لا بعلم هو وصفه -.

ويشمل أيضاً من قال في صفات الله ما لا يعلم، مثل أن يُثبتوا بعض الصفات دون بعض، فيقولون فيما نفوه: أراد به كذا، ولم يُرد به كذا؛ فقالوا على الله بلا علم من وجهين: الوجه الأول: أنهم نفوا ما أراد الله بلا علم، والثاني: أثبتوا ما لم يعلموا أن الله أراد؛ فقالوا مثلاً: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بمعنى استولى عليه؛ قالوا على الله بلا علم من وجهين: الوجه الأول: نفى حقيقة الاستواء بلا علم، والثاني: إثباتهم أنها بمعنى الاستيلاء بلا علم.

كذلك يشمل القول على الله بلا علم في أفعاله، مثل أن يُثبتوا أسباباً لم يجعلها الله أسباباً، كمثال المنجمين والخراصين، وشبههم؛ هؤلاء قالوا على الله بلا علم في أفعاله ومخلوقاته؛ فيقولون: سبب وجود هذا وهذا كذا؛ وهو لا يُعلم أنه سبب له كوناً، ولا شرعاً.

ويشمل أيضاً القول على الله بلا علم في أحكامه؛ مثل أن يقول: «هذا حرام»

وهو لا يعلم أن الله حرّمه؛ أو «واجب» وهو لا يعلم أن الله أوجبه، وهم كثيرون جداً؛ ومنهم العامة، ومنهم أدعياء العلم الذين يظنون أنهم علماء وليس عندهم علم؛ ومن الأشياء التي مرّت عليّ قريباً، وهي غريبة: أن رجلاً ذهب إلى إمام مسجد ليكتب له الطلاق؛ فقال له: «طلّق امرأتك طلقتين؛ أنا لا أكتب طلقة واحدة؛ لأنّ الله يقول: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾»؛ فقال له الرجل: «اكتب أنّي طلّقت امرأتى مرتين»؛ وهذا جهلٌ مرّكبٌ منافٍ لمعنى الآية؛ لأنّ معناها أنّ الطلاق الذي يملك فيه الرجعة هو الطلقة الأولى، والطلقة الثانية؛ فإنّ طلّقها الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

فالقول على الله بلا علم في ذاته، أو أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه؛ كلّ ذلك من أوامر الشيطان؛ والغالب أنّه لا يحمل على ذلك إلا محبّة الشرف والسيادة والجاه؛ وإلا لو كان عند الإنسان تقوى لالتزم الأدب مع الله عزّ وجلّ، ولم يتقدّم بين يدي الله ورسوله، وصار لا يقول على الله إلا ما يعلم.

فإذا قال قائل: ألتئم تبيحون الفتوى بالظن عند تعذّر اليقين؟

فالجواب: بلى؛ بشرط أن يكون لهذا الظن أساسٌ شرعي - من اجتهاد أو تقليد لمن هو أهل لذلك - يبنى عليه؛ فإذا أفتينا بالظن لتعذّر اليقين فقد أفتينا بما أذن الله لنا فيه؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَنْتُمْ أَلَمْ تَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ ومعلوم أنّ القول بغلّة الظن خيرٌ من التوقّف؛ وكثيرٌ من مسائل الفقه التي تكلم فيها الفقهاء، واختلفوا فيها من هذا الباب؛ لأنها لو كانت يقينية لم يحصل فيها اختلاف؛ ثم

إنَّ الشيء قد يكون يقيناً عند شخص لإيمانه، وكثرة علمه وقوة فهمه؛ ومظنوناً عند آخر لِنَقْصِهِ في ذلك.

٧. **أَنَّ مِنْ تَعْصَبٍ لِمَذْهَبٍ مَعَ مَخَالَفَةِ الدَّلِيلِ فِيهِ شَبْهُ مِنْ هَوْلَاءٍ؛** والواجب أَنَّ الإنسان إذا قيل له: «اتَّبِعْ مَا أَنْزَلَ اللهُ» أن يقول: «سمعنا وأطعنا».

٨. **أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الحَقَّ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ فليس بعاقل،** وليس عنده هدى؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

٩. **أَنَّ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ المرءُ مِنْ مَأْكُولٍ فَإِنَّهُ مِنْ رِزْقِ اللهِ؛** وليس للإنسان فيه إلا السبب فقط؛ لقوله تعالى: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

١٠. **أَنَّ الضَّرُورَةَ تُبِيحُ المَحْظُورَ؛** لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ ولكنَّ هذه الضَّرُورَةُ تُبِيحُ المَحْرَمَ بشرطين:

الشرط الأول: صدق الضرورة؛ بحيث لا يندفع الضرر إلا بتناول المحرَّم.
الشرط الثاني: زوال الضرورة به؛ حيث يندفع الضرر؛ فإن كان يمكن دفع الضرورة بغيره لم يكن حلالاً، كما لو كان عنده ميتة ومذكَّاة، فإنَّ الميتة لا تحل لا تحل حينئذٍ؛ لأنَّ الضرورة تزول بأكل المذكَّاة، ولو كان عطشان، وعنده كأس من خمر لم يحل له شربها؛ لأنَّ ضرورته لا تزول بذلك؛ إذا لا يزيده شرب الخمر إلا عطشاً؛ ولهذا لو غَصَّ بلقمة، وليس عنده ما يرفعها إلا كأس خمر، كان شربها لِدَفْعِ اللُّقْمَةِ حلالاً.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ الأَصْلَ فِيما فِي الأَرْضِ الحِلُّ والطَّيِّبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ حَرَامٌ.**

٢. أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾؛ وهذا حصرٌ بـ «إنَّما»؛ وهو يوازن: ما يأمركم إلا بالسوء والفحشاء.
٣. ذَمُّ التَّعَصُّبِ بِغَيْرِ هُدًى؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾؛ مع أَنَّ آبَاءَهُمْ لَا عَقْلَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُدًى.
٤. أَنَّ الشُّكْرَ مِنْ تَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.
٥. أَنَّ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ إِلَى اللَّهِ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾.
٦. إِثْبَاتُ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛ لِأَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ أَبَاحَ الْمَحْرَمَ لِلْعَبْدِ لِدْفَعِ ضَرُورَتِهِ.
٧. أَنَّ مِنْ تَنَاوُلِ الْمَحْرَمِ بَدُونَ عِذْرِ فَهُوَ آثِمٌ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ فَعُلِمَ مِنْهَا أَنَّ مَنْ كَانَ غَيْرَ مُضْطَرِّ فَعَلِيهِ إِثْمٌ.



الآيات (١٧٤-١٧٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾.

من فوائد الآيات ^(١):

مجموعة (أ):

١. **أن الكتب منزلة من عند الله؛** لقوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾.
 ٢. **إثبات العلة والأسباب؛** لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ﴾؛ والباء سببية؛ وقد ذكر بعض أهل العلم أن في القرآن أكثر من مائة موضع كلها تفيد إثبات العلة؛ خلافاً للجبرية الذين يقولون: «إِنَّ فَعَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ لَيْسَ لِحِكْمَةٍ؛ بَلْ لِمَجْرَدِ الْمَشِيئَةِ».

٣. **أن الاختلاف ليس رحمة؛** بل إنه شقاق وبلاء؛ وبه نعرف أن ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اختلاف أمتي رحمة» لا صحة له؛ وليس الاختلاف برحمة؛ بل قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٦﴾ إِلَّا مَنْ

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/٢٦٢).

رَحِمَ رَبُّكَ ﴿[هود: ١١٨-١١٩]؛ أَي فإِنَّهُمْ لیسوا بمختلفین؛ نعم؛ الاختلاف رحمة بمعنى: أن من خالف الحقَّ لاجتهاد فإنه مرحومٌ بعفو الله عنه؛ فالمجتهد من هذه الأمة إن أصاب فله أجران؛ وإن أخطأ فله أجر واحد؛ والخطأ معفو عنه؛ وأمَّا أن يُقال هكذا على الإطلاق: «إنَّ الاختلاف رحمة»؛ فهذا مقتضاه أن نسعى إلى الاختلاف؛ لأنَّه هو سبب الرحمة على مقتضى زعم هذا المروي! فالصواب أن الاختلاف شرٌّ.

مجموعة (ب):

١. **وجوبُ نشر العلم**؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾؛ ويتأكد إذا دعت الحاجة إليه بالسؤال عنه؛ إمَّا بلسان الحال، وإمَّا بلسان المقال.
٢. **علو الله عزَّ وجلَّ**؛ لقوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ فإن لازم النزول من عنده أن يكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِيًّا.
٣. **إطلاق المسبب على السبب**؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾؛ هم لا يأكلون النار، ولكن يأكلون المال؛ لكنه مال سببٌ للنار.
٤. **أن كتمان العلم أو بيانه لغرضٍ من الدنيا من الضلال**؛ وذلك لأنَّه جاهل بما يجب على العالم في علمه من النشر والتبليغ، ولأنَّه جهل على نفسه؛ حيث منعها هذا الخير العظيم في نشر العلم؛ لأن من أفضل الأعمال نشر العلم؛ فإنَّه - أعني العلم - ليس كالمال؛ المال يفنى؛ والعلم يبقى؛ أرأيت الآن في الصحابة رضي الله عنهم أناس أغنياء أكثر غنى من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وذكر أبي هريرة بين الخاص والعام الآن أكثر؛ والثواب الذي يأتيه ممَّا روى عن النبي

صلى الله عليه وسلم من أحاديث أكثر وأعظم؛ ثم رأيت منزلة الإمام أحمد بن حنبل، ونحوه من الأئمة مع من في عهدهم من الخلفاء والوزراء والأغنياء، هل بقي ذكرهم كما بقي ذكر هؤلاء الأئمة؟! فكتمانُ العلم لا شكَّ أنَّه ضلالة في الإنسان وجهالة.



الآيات (١٧٧-١٧٩)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِفِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ
وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَدَاؤُ اللَّهِ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴿١﴾.

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أن البرَّ حقيقة هو «الإيمان بالله...» إلى آخره؛ والإيمان بالله يتضمَّن أربعة أمور: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته:
- أما الإيمان بوجوده: فإنه دَلَّ عليه الشرع، والحِسُّ، والعقل، والفترة:
- أ- أمَّا دلالة الشرع على وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واصله من إرسال الرُّسُل وإنزال الكتب.

(١) غريب الكلمات: «الْقِصَاص»: معاقبة القاتل بمثل جنائته. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/٢٨٢).

ب- دلالة الحس: فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدْعَى وَيُجِيبُ؛ وهذا دليل حسي على وجوده -تبارك وتعالى-؛ كما في سورة الأنبياء وغيرها من إجابة دعوة الرسل فور دعائهم، كقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ج- دلالة العقل: أن ما من حادثٍ إلا وله مُحدث، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَرَ خَلْقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]؛ هذا الكون العظيم، بما فيه من النظام، والتغيُّرات والأحداث لا بد أن يكون له مُوجد مُحدث يُحدث هذه الأشياء؛ وهو الله عزَّ وجلَّ؛ إذ لا يمكن أن تحدث بنفسها؛ لأنَّها قبل الوجود عدم؛ والعدم -كاسمه- لا وجود له؛ ولا يمكن أن يُحدثها مخلوق؛ لما فيها من العظم والعبر.

د- دلالة الفطرة: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ تَرَكَ وَفِطْرَتَهُ لَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ؛ والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ حتى غير الإنسان مفطوراً على معرفة الربِّ عزَّ وجلَّ.

وأما الإيمان بربوبيته: فهو الإيمان بأنَّه وحده الخالق لهذا الكون المالك له المدبِّر له؛ وقد دلَّ عليه ما سبق من الأدلَّة على وجوده؛ وقد أقرَّ بذلك المشركون، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]؛ إلى غيرها من الآيات الكثيرة.

وأما الإيمان بألوهيته: فهو الإيمان بأنه لا إله في الوجود حق إلا الله عَزَّجَلَّ، وكلُّ ما سواه من الآلهة: باطلة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]؛ فالله سبحانه هو الإله الحق.

وأما الإيمان بأسمائه وصفاته: فهو الإيمان بما أثبتته الله سبحانه وتعالى لنفسه، أو أثبتته له رُسُله من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَمْتَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]؛ ووجه الدلالة: تقديم الخبر في الآيتين؛ لأنَّ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

٢. **أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ مِنَ الْبِرِّ.**

٣. **أَنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ مِنَ الْبِرِّ؛** وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدَّق به وقال: إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وعندما سَمِعَ أبو طلحة هذه الآية تصدَّق ببستانه الذي هو أحبُّ شيءٍ إليه من ماله؛ لا لأنَّه بستانه فقط؛ ولكن لأنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يأتي إليه، ويشرب فيه من ماء طيب، وكان قريباً من مسجد الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ ولمَّا نزلت الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ذهب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وقال: يا رسول الله، إن الله أنزل هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ وإن أحبَّ مالي إليَّ

«بِيرْحَاءٍ»؛ وإني أضعها صدقة إلى الله ورسوله؛ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ»، «أرى أن تجعله في الأقربين»^(١).

٤. **أن إعطاء ذوي القربى أولى من إعطاء اليتامى والمساكين؛ لأن الله بدأ بهم، فقال تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾؛ فلو سأل سائل: هل الأفضل أن أعطي القرابة، أو اليتامى؟ لقلنا: أعطِ القرابة؛ اللهم إلا أن يكون هناك ضرورة في اليتامى تُرَجِّح إعطاءهم؛ وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقديم صلة الرحم على العتق؛ واعلم أن الحُكْم إذا عُلِّق بوصف تختلف أفراده فيه قوةً وضعفًا، فإنَّه يزداد قوةً بقوة ذلك الوصف؛ فإذا كان معلقًا بالقرابة فكل من كان أقرب فهو أولى؛ وأقرب الناس إليك، وأحفظهم بالبر: أُمُّكَ، وأبوك.**

٥. **أن لليتامى حقًّا؛ لأن الله امتدح من آتاهم المال؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْيَتَامَى﴾؛ سواء كانوا فقراء، أم أغنياء.**

٦. **الثناء على الموفين بالعهد، وأنَّ الوفاء به من البر؛ والعهد عهدان: عهدٌ مع الله عَزَّجَلَّ، وعهدٌ مع الخلق.**

فالعهد الذي مع الله بينه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

حَسَنًا لَّا كَفَرْنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلَنَّكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿
[المائدة: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]؛ فالعهد الذي عهده الله به إلينا أن نؤمن به ربًّا؛ فنرضى
بشريعته؛ بل بأحكامه الكونية والشرعية؛ هذا العهد الذي بيننا وبين ربنا.

أمَّا العهد الذي بيننا وبين الناس، فأنواعه كثيرة جدًا غير محصورة؛ منها العقود،
مثل عقد البيع، وعقد الإجارة، وعقد الرهن، وعقد النكاح، وغير ذلك؛ لأنك
إذا عقدت مع إنسان التزمت بما يقتضيه ذلك العقد؛ إذا فكل عقد فهو عهد؛
ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ ومن العهود بين الخلق ما يجري بين
المسلمين وبين الكفار؛ وهو ثلاثة أنواع: مؤبد، ومقيّد، ومطلق؛ فأما المؤبد فلا
يجوز؛ لأنّه يؤدي إلى إبطال الجهاد؛ وأما المقيّد، فبحسب الحاجة - وإن طال
المدة على القول الراجح -؛ لأنّه عهدٌ دعت إليه الحاجة؛ فينتقيد بقدرها، وقيل:
لا تجوز الزيادة فيه على عشرة سنوات؛ تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلّم
في صلح الحديبية، والصحيح الأول؛ ويُجاب عن عهد الحديبية بأنّ الحادثة لا
تقتضي الزيادة؛ وأما المطلق؛ فهو الذي لم يؤبد ولم يحدّد؛ وهو جائز على
القول الراجح عند الحاجة إليه؛ فمتى وجد المسلمون الحاجة إليه عقدوه، وإذا
زالت الحاجة عاملوا الكفار بما تقتضيه الحال؛ ولا حجّة للكفار فيه لأنّه مطلق.
والمعاهدون من الكفار لهم ثلاث حالات؛ الحال الأولى: أن يستقيموا لنا؛
الحالة الثانية: أن يخونوا؛ الحال الثالثة: أن نخاف منهم الخيانة؛ فإن استقاموا

وجب علينا أن نستقيم لهم؛ ولا يمكن أن نخون أبداً؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا أَسْتَقْمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]؛ وإن خانوا انتقض عهدهم، ووجب قتالهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ فَمِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢]؛ وإن خفنا منهم الخيانة وجب أن ننبذ إليهم عهدهم على سواء؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا خِفَافٌ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]؛ نخبرهم أن لا عهد بيننا ليكونوا على بصيرة؛ ومن العهد أيضاً ما يقع بين الإنسان وبين غيره من الالتزامات غير العقود؛ مثل الوعد؛ فإنَّ الوعد من العهد؛ ولهذا اختلف أهل العلم هل يجب الوفاء بالوعد، أو لا يجب؛ والصحيح الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجب الوفاء بالوعد؛ لأنه داخل في العهد؛ ولأنَّ إخلاف الوعد من علامات النفاق؛ وإذا كان كذلك، فلا يجوز للمؤمن أن يتحلَّى بأخلاق المنافقين.

٧. أن الصبر من البر؛ وهو ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على طاعة الله؛ بأن يتحمل الصبر على الطاعة من غير ضجر ولا كراهة.

الثاني: الصبر عن معصية الله؛ بأن يتحمل الصبر على الكف عن معصية الله إذا دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة التي لا تلائم الطبيعة؛ بأن لا يتسخط ولا يتضجر؛ بل يحبس نفسه عن ذلك: قال الله تعالى: ﴿وَيَشِرُّ الصَّابِرِينَ﴾ [الذِّينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وأعلى هذه الأنواع: الصبر على طاعة الله؛ لأنَّ فيه تحملاً، ونوعاً من التعب بفعل الطاعة؛ ثم الصبر عن المعصية؛ لأنَّ فيه تحملاً، وكفّاً عن المعصية؛ والكفُّ أهون من الفعل؛ ثم الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لأنَّه على شيءٍ لا اختيار للعبد فيه؛ ولهذا قيل: «إمّا أن تصبرَ صبرَ الكرام، وإمّا أن تسلوَ سلوَ البهائم».

٨. جوازُ العفو عن القصاص إلى الدية؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ

شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِدَاءٌ إِلَيْهِ بِالْحَسَنِ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ وهل له أن يعفو مجاناً؟ الجواب: نعم؛ له ذلك؛ لأنَّ الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَدَبٌ إِلَى الْعَفْوِ فَقَالَ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال

تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَعْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]،

وقال في وصف أهل الجنة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَاطِئِينَ الْأَعْيَظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ لكن العفو المندوب إليه ما كان فيه

إصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ فإن كان في

العفو إصلاح، مثل أن يكون القاتل معروفاً بالصلاح؛ ولكن بدرت منه هذه

البادرة النادرة؛ ونعلم، أو يغلب على ظننا أننا إذا عفونا عنه استقام وصلحت

حاله، فالعفو أفضل؛ لا سيما إن كان له ذرية ضعفاء ونحو ذلك؛ وإذا علمنا أن

القاتل معروفٌ بالشر والفساد، وإن عفونا عنه لا يزيده إلا فساداً وإفساداً، فتركُّ

العفو عنه أولى؛ بل قد يجب ترك العفو عنه.

٩. **أَنْ الْمَعْتَدِي بَعْدَ انْتِهَاءِ الْقَصَاصِ أَوْ أَخْذِ الدِّيَةِ مُتَوَعَّدٌ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ؛**
سواء كان من أولياء المقتول أو من أولياء القاتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

١٠. **الحكمة العظمى في القصاص؛ وهي «الحياة الكاملة»؛** لقوله تعالى:
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

فإن قيل: كيف يكون لنا في القصاص حياة مع أننا قتلنا القاتل؛ فزدنا إزهاق
نفسٍ أخرى؟

فالجواب: نعم؛ يكون لنا في القصاص حياة بأن القتل إذا علموا أنه سيقتص
منهم امتنعوا عن القتل؛ فكان في ذلك تقليل للقتل، وحياةً للأمم؛ ولهذا جاءت
مُنْكَرَةً للدلالة على عِظَمِ هذه الحياة؛ فالتنكير هنا للتعظيم؛ يعني: حياةً عظيمة
شاملة للمجتمع كله؛ أمَّا بالنسبة للقاتل فيقتل؛ لكن قتل القاتل حياةً للجميع.
مجموعة (ب):

١. **أَنَّ مَا ذُكِرَ هُوَ حَقِيقَةُ الصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ، وَمَعَ الْخَلْقِ؛** لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا﴾؛ فصَدَقُهُمْ مع الله؛ حيث قاموا بهذه الاعتقادات النافعة: الإيمان
بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين؛ وأنهم أقاموا الصلاة، وآتوا
الزكاة، وبذلوا المحبوب في هذه الجهات؛ وأمَّا صدقهم مع الخلق يدخل في
قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾؛ وهذا من علامات الصدق؛ ولهذا
قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾؛ فصَدَقُوا في اعتقاداتهم، وفي معاملاتهم مع الله،
ومع الخلق.

٢. **أَهْمِيَّةُ الْقِصَاصِ**؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَجَّهَ الْخُطَابَ بِهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ وَصَدَّرَهُ بِالنِّدَاءِ الْمَسْتَلْزِمِ لِلتَّنْبِيهِ؛ وَتَصْدِيرَ الْخُطَابِ بِالنِّدَاءِ فَائِدَتَهُ التَّنْبِيهِ وَأَهْمِيَّةَ الْأَمْرِ.
٣. **أَنَّ تَنْفِيذَ الْقِصَاصِ مِنْ مَقْتَضَى الْإِيمَانِ**؛ لِأَنَّ الْخُطَابَ مُوجَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ.
٤. **أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾؛ فَجَعَلَ اللَّهُ الْمَقْتُولَ أَخًا لِلْقَاتِلِ؛ وَلَوْ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ لَمْ يَكُنْ أَخًا لَهُ.



الآيات (١٨٠-١٨٢)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أهمية صلة الرحم**؛ حيث أوجب الله الوصية للوالدين والأقربين بعد الموت؛ لأن صلة الرحم من أفضل الأعمال المقربة إلى الله؛ فهذه إحدى أمهات المؤمنين أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم: أنها اعتقت جارية لها؛ فقال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرِك» (٣)؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم صلة الرحم أعظم أجراً من العتق.
٢. **أن الوصية ليست مقيدة بجزء معين من المال؛ بل هي بالمعروف.**
٣. **أن من فعل الخير، ثم غير بعده، كتب له ما أراد؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾**.

(١) غريب الكلمات: «جَنَفًا»: ميلاً عن الحق. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفتاحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).

٤. تحريمُ تغيير الوصية؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾؛ فيجبُ العمل بوصية الموصي على حسب ما أوصى؛ إلا أن يكون جَنَفًا أو إثمًا.
٥. رفعُ الإثم عن الوصي إذا أصلح لخوفه جَنَفًا أو إثمًا.
- مجموعة (ب):

١. أَنَّ الوصِيَّةَ الواجبةَ إِنَّمَا تكون فيمن خَلَفَ مالاً كثيراً؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾؛ فأما من ترك مالاً قليلاً فالأفضل أن لا يُوصي إذا كان له ورثة؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّكَ أَنْ تَدَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»^(١).

٢. تأكيدُ وجوبِ الوصِيَّةِ على من تَرَكَ مالاً كثيراً لمن ذَكَر؛ وجه التوكيد قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

٣. إحاطةُ الله عَزَّوَجَلَّ بكلِّ أعمال الخلق؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿سَمِعَ عَلِيمٌ﴾ ذَكَر عقب التهديد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾؛ وهذا يدلُّ على أن الله يسمع ويعلم ما يُبدله الوصي.

٤. أَنَّهُ قد يُعَبَّرُ بنفي الإثم أو نفي الجناح، دَفْعًا عن توهُمِهِ؛ وعليه، فلا ينافي المشروعية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ ولَمَّا كان تبديل الوصية إثمًا، نفى الله الإثم عمَّن أصلح؛ ثم تعود المسألة إلى القواعد العامة التي مُقتضاها وجوب الإصلاح، ورفع الجَنَفِ والإثم.



(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

الآيات (١٨٣-١٨٨)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَمَنَ بَشَرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (١)

(١) غريب الكلمات: «الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ»: جماع نساءكم؛ «تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ»: تخونون أنفسكم؛ «تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ»: تخاصموا بها إلى الحكام لتأخذوا طائفةً من أموال الناس. (المختصر)

من فوائد الآيات^(١) :

مجموعة (أ):

١. **فَرَضَ الصِّيَامَ عَلَى مَنْ قَبَلْنَا مِنَ الْأُمَّمِ؛** لقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

٢. **الحكمة في إيجاب الصيام؛ وهي تقوى الله؛** لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٣. **أَنَّ الْمَشَقَّةَ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ؛** لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ لأنَّ المَرَضَ والسَّفَرَ مِظَنَّةُ الْمَشَقَّةِ.

٤. **جواز الفِطْرِ للمرض؛** ولكن هل المراد مُطلق المرض - وإن لم يكن في الصوم مشقة عليه - أو المراد المرض الذي يَشُقُّ معه الصوم أو يتأخر معه البرء؛ الظاهر الثاني؛ وهو مذهب الجمهور؛ لأنَّه لا وجه لإباحة الفطر بمرض لا يشق معه الصوم أو لا يتأخر معه البرء؛ هذا وللمريض حالات:

الأولى: أن لا يضرَّه الصوم ولا يشق عليه؛ فلا رخصة له في الفطر.

الثانية: أن يشقَّ عليه، ولا يضره؛ فالصوم في حقه مكروه؛ لأنَّه لا ينبغي

العدول عن رخصة الله.

الثالثة: أن يضرَّه الصوم؛ فالصوم في حقه مُحَرَّمٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾.

٥. **جوازُ الفِطْرِ في السَّفَرِ؛** لقوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛

وللمسافر باعتبار صومه في سفره حالاتٌ ثلاث:

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣١٨/٢).

الأولى: أن لا يكون فيه مشقة إطلاقاً؛ يعني: ليس فيه مشقة تزيد على صوم الحَصْر؛ ففي هذه الحال الصوم أفضل؛ وإن أفطر فلا حرج؛ ودليله أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصوم في السفر، كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فِيْنَا صَائِمٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنِ رَوَاحَةَ»^(١)؛ ولأنَّ الصوم في السفر أسرع في إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ؛ ولأنَّه أسهل عليه غالباً لكون الناس مشاركين له؛ وثقل القضاء غالباً؛ ولأنَّه يصادف شهر الصوم؛ وهو رمضان.

الحال الثانية: أن يشق عليه الصوم مشقة غير شديدة؛ فهنا الأفضل الفِطْر؛ والدليل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في سفر، فرأى زحاماً، ورجلاً قد ظلَّ عليه، فسأل عنه، فقالوا: صائم؛ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس من البرِّ الصَّيَامُ فِي السَّفَرِ»^(٢)؛ فنفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البرَّ عن الصوم في السفر.

فإن قيل: إن من المتقرَّر في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ وهذا يقتضي نفي البر عن الصوم في السفر مطلقاً؛ فالجواب: أن معنى قولنا «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» يعني أن الحُكْم لا يختصُّ بعين الذي وَرَدَ من أجله؛ وإنما يعمُّ مَنْ كان مثل حاله؛ وقد نصَّ على هذه القاعدة ابن دقيق العيد في شرح الحديث في العمدة؛ وهو واضح.

الحال الثالثة: أن يشقَّ الصوم على المسافر مشقة شديدة؛ فهنا يتعيَّن الفِطْر؛

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

ودليلة: ما ثبت في الصحيح أَنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في سفر، فَشَكِيَ إِلَيْهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامَ وَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَفْعَلُ؛ فَدَعَا بِمَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَشَرِبَهُ، وَالنَّاسَ يَنْظُرُونَ؛ ثُمَّ جِيءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ! أُولَئِكَ الْعُصَاةُ!»^(١)؛ والمعصية لا تكون إلا في فعل محرّم أو ترك واجب.

٦. **ثبوت تفاضل الأعمال؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، وتفاضل الأعمال يستلزم تفاضل العامل؛ فينبغي على ذلك أَنَّ الناس يتفاضلون في الأعمال؛ وهو ما دلَّ عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والواقع؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

٧. **أَنَّ شريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْيُسْرِ وَالسَّهُولَةِ؛** لأنَّ ذلك مراد الله عزَّ جَلَّ في قوله تعالى: ﴿بُرِيدُ اللَّهِ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ وقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(٢)، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث البعوث، ويقول: «يَسِّرُوا وَلَا

(١) أخرجه مسلم (١١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩).

تَعَسَّرُوا، وَبَشَّرُوا، وَلَا تَنْفَرُوا»^(١)؛ «فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٢).

٨. أَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فِيمَا لَيْسَ الْأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمَ، فَإِنَّهُ يُغَلَّبُ جَانِبَ التَّحْلِيلِ؛ لِأَنَّهُ الْأَيْسَرُ، وَالْأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ.

٩. **مشروعية التكبير عند تكميل العدة**؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلْيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾؛ والمشروع في هذا التكبير أن يقول الإنسان: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد»، وإن شاء أوتر فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد»، وإن شاء أوتر باعتبار الجميع فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد»؛ فالأمر في هذا واسع، والله الحمد.

١٠. **أن الزوجة سترٌ للزوج؛ وهو سترٌ لها؛** وأن بينهما من القرب كما بين الثياب ولا بسيتها؛ ومن التحصين للفروج ما هو ظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

١١. **ثبوت علم الله بما في النفوس**؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

١٢. **أن الإنسان كما يخون غيره قد يخون نفسه**؛ وذلك إذا أوقعها في معاصي الله؛ فإن هذا خيانة؛ وعلى هذا فنفس الإنسان أمانة عنده؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

١٣. **جواز الأكل والشرب والجماع مع الشك في طلوع الفجر**؛ لقوله

(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٠).

تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ﴾؛ فَإِنَّ تَبَيَّنَ أَنْ أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ وَجَمَاعَهُ كَانَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فلا شيء عليه.

١٤. أَنَّهُ يَنْبَغِي الْبُعْدُ عَنِ الْمَحَارِمِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^(١).

١٥. حِرْصُ الشَّارِعِ عَلَى حِفْظِ الْأَمْوَالِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، وَلِأَنَّ الْأَمْوَالَ تَقُومُ بِهَا أُمُورُ الدِّينِ وَأُمُورُ الدُّنْيَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥].
مجموعة (ب):

١. أَهْمِيَّةُ الصِّيَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ صَدَّرَهُ بِالنِّدَاءِ وَأَنَّهُ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُ وَجْهُ الْخُطَابِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ وَأَنَّ تَرْكَهُ مُخِلٌّ بِالْإِيمَانِ.

٢. التَّعْبِيرُ بِكَلِمَاتٍ يَكُونُ بِهَا تَهْوِينُ الْأَمْرِ عَلَى الْمُخَاطَبِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾.

٣. أَنَّهُ لَوْ صَامَ عَنِ أَيَّامِ الصَّيْفِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ فَإِنَّهُ يُجْزِيءُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ وَجْهُهُ: أَنَّ «أَيَّامًا» نَكْرَةٌ.

٤. بَيَانُ «الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ» الَّتِي أَهْمَهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ؛ بِأَنَّهَا «شَهْرُ رَمَضَانَ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).

٥. أن الله يشرع الشرائع لحكمة وغاية حميدة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٦. أن الصيام مظنة إجابة الدعاء؛ لأن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر الآية في أثناء آيات الصيام؛ ولا سيما أنه ذكرها في آخر الكلام على آيات الصيام. وقال بعض أهل العلم: يستفاد منها فائدة أخرى: أنه ينبغي الدعاء في آخر يوم الصيام؛ أي عند الإفطار.

٧. أن الله تعالى يُجيب دعوة الداع إذا دعاه، ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته؛ لأنه تعالى قد يؤخر إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعاً إلى الله، وإلحاحاً في الدعاء؛ فيقوى بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه؛ أو يدخره له يوم القيامة؛ أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدةً للداعي؛ وهذا هو السر - والله أعلم - في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾.

٨. أن الأفضل المبادرة بالفطر؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَى الْآيِلِ﴾، وقد جاءت السنة بذلك صريحاً، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»^(١).

٩. الإشارة إلى مشروعية الاعتكاف؛ لأن الله أقره، ورتب عليه أحكاماً، وقوله تعالى: ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ بيان للواقع؛ لأن الاعتكاف المشروع لا يكون إلا في المساجد.



(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

الآيات (١٨٩-١٩٥)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ ۗ فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمُ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ لِلَّهِ ۗ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. حِرْصُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْعِلْمِ؛ وَأَنْتَهُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ وَأُمُورِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا.
 ٢. أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنَ الْأَهْلِ أَنَّهَا مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ فِي شُؤْنِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛
- لقوله تعالى: ﴿مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ﴾.

(١) غريب الكلمات: «تَفْقَهُمُوهُمْ»: لتقتموهم. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣٧١ / ٢).

٣. **أنه ينبغي للإنسان أن يأتي الأمور من أبوابها؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا أَبْيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾؛ فإن هذه الآية كما تناولت البيوت الحسيّة، كذلك أيضاً تناولت الأمور المعنوية؛ فإذا أردت أن تخاطب مثلاً شخصاً كبير المنزلة؛ فلا تخاطبه بما تخاطب سائر الناس، ولكن ائت من الأبواب؛ لا تتجشم الأمر تجشماً؛ لأنك قد لا تحصل المقصود؛ بل تأتي من بابه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى تتم لك الأمور.

٤. **وجوب تقوى الله؛** لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٥. **أن التقوى سبب للفلاح؛** لقوله تعالى: ﴿لَعَدَّكُمْ نُفُوحَاتٍ﴾.

٦. **إثبات العدل لله عز وجل؛** لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾؛ والجزاء من جنس العمل.

٧. **أخذ الأحكام الشرعية ممّا تقتضيه الأسماء الحسنى،** ولها نظائر؛ منها قوله تعالى في المحاربين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ اللَّهُ غَوْرٌ رَجِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

٨. **الأمر بالإنفاق في سبيل الله؛** والزكاة تدخل في هذا الإنفاق؛ بل هي أول ما يدخل؛ لأنها أوجب ما يجب من الإنفاق في سبيل الله، وهي أوجب من الإنفاق في الجهاد وفي صلة الرحم وفي برّ الوالدين؛ لأنها أحد أركان الإسلام.

٩. **تحريم الإلقاء باليد إلى التهلكة؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، والإلقاء باليد إلى التهلكة يشمل التفريط في الواجب، وفعل المحرم؛ أو بعبارة أعم: يتناول كل ما فيه هلاك الإنسان وخطر في دينه أو دنياه.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ مِيقَاتِ الْأُمَمِ كُلِّهَا: الْمِيقَاتُ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ؛ وَهُوَ «الْأَهْلَةُ»؛** فهو الميقات العالمي؛ لقوله تعالى: ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾، وأمّا ما حدث أخيراً من التوقيت بالأشهر الإفرنجية فلا أصل له من محسوس ولا معقول ولا مشروع؛ ولهذا تجد بعض الشهور ثمانية وعشرين يوماً، وبعضها ثلاثين يوماً، وبعضها واحداً وثلاثين يوماً؛ من غير أن يكون سببٌ معلوم أو جب هذا الفرق؛ ثمّ إنّ له ليس لهذه الأشهر علامةً حسيّةً يرجع الناس إليها في تحديد أوقاتهم - بخلاف الأشهر الهلالية؛ فإن لها علامةً حسيّةً يعرفها كل أحد -.

٢. **أَنَّ الْعَادَاتِ لَا تَجْعَلُ غَيْرَ الْمَشْرُوعِ مَشْرُوعًا؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾؛ مع أنّهم اعتادوه واعتقدوه من البر؛ فمّن اعتاد شيئاً يعتقد به برّاً عرض على شريعة الله.

٣. **إِثْبَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ؛ أَي أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ؛** لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ وجه الدلالة: أنّه لو كان لا يحب أبداً ما صحّ أن ينفي محبته عن المعتدين فقط؛ فما انتفت محبته عن هؤلاء إلا وهي ثابتة في حقّ غيرهم.

٤. **أَنَّ الْفِتْنَةَ بِالْكَفْرِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ.** فيتفرّع على هذه الفائدة: أنّ استعمار الأفكار أعظم من استعمار الديار؛ لأنّ استعمار الأفكار فتنة، واستعمار الديار أقصى ما فيها إمّا القتل، أو سلب الخيرات أو الاقتصاد، أو ما أشبه ذلك؛ فالفتنة أشد؛ لأنّها هي القتل الحقيقي الذي به خسارة الدّين والدنيا والآخرة.

٥. أَنَّ مَا كَانَ سَبَبًا لِلضَّرَرِ فَإِنَّهُ مَنهِيٌّ عَنْهُ؛ وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ عَرَفْنَا أَنَّ «الدَّخَانَ» حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ يُضَرُّ بِاتِّفَاقِ الْأَطْبَاءِ؛ كَمَا أَنَّ فِيهِ ضِيَاعًا لِلْمَالِ أَيْضًا؛ وَقَدْ نَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ إِضَاعَةِ الْمَالِ^(١).



(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٣)، ومسلم (٥٩٣).

الآيات (١٩٦-٢٠٣)

﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا زُرُوسًا حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا إِلَيْ اللَّهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۚ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴿١﴾ .

(١) غريب الكلمات: «الهدْي»: الإبل أو البقر أو الغنم؛ «نُسُك»: ذبح شاة وتوزيعها على فقراء الحرم؛

«خَلَق»: نصيب. (المختصر)

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. **وجوب إتمام الحج والعمرة**، وظاهر الآية أنه لا فرق بين الواجب منهما وغير الواجب، ووجه هذا الظاهر: العموم في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾؛ فيكون شاملاً للفريضة والنافلة، ويؤيده أن هذه الآية نزلت قبل فرض الحج؛ لأنَّ الحج إنما فرض في السنة التاسعة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ السنَّة التي يُسمِّيها العلماء «سنَّة الوفود».

٢. **أنَّ الحجَّ والعمرة يُخالفان غيرهما في وجوب إتمام نفلهما**؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا﴾؛ والأمر للوجوب، ويدلُّ على أنه للوجوب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾؛ حيث أوجب الهدي عند الإحصار؛ أمَّا غيرهما من العبادات فإنَّ النفل لا يجب إتمامه؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟» قالوا: نعم؛ حَيْسٌ؛ قال: «أَرَيْنِيهِ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا، فَأَكَلْتُ»^(٢)؛ لكن يُكره قطع النَّفْلِ إلا لغرضٍ صحيح؛ كحاجة إلى قَطْعِهِ، أو انتقالٍ لما هو أفضل منه.

٣. **أنَّهُ إِذَا أَحْصَرَ الْإِنْسَانَ عَنِ إِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَلَهُ أَنْ يَتَحَلَّلَ؛ وَلَكِنْ**

عَلَيْهِ الْهَدْيِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

٤. **أنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْهَدْيُ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يُهْدَى؛** بأن يكون بالغاً للسِّنِّ

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/٣٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٤).

المعتبر؛ سالمًا من العيوب المانعة من الإجزاء؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَلْهَدِيَ﴾، و «أل» هنا للعهد الذهني المعلوم للمخاطب؛ وهو الذي قال فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ تَعْسَرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَدْعَةً مِنَ الضَّأْنِ»^(١).

فإن قال قائل: هل يؤكل من هذا الهدى أم لا؟

فالجواب: يؤكل كل شيءٍ فيه: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، فهو يؤكل؛ وأمَّا ما فيه: «فَعَلَيْهِ»، فإنه لا يؤكل؛ فجزاء الصيد لا يؤكل منه، وفدية الأذى لا يؤكل منها؛ لأنَّ الله جعلها كفارة؛ أمَّا ما استيسر من الهدى هنا وفي التمتع فإنه يؤكل منه.

٥. جواز حلق الرأس للمرض والأذى؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ

بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ...﴾ إلى آخر الآية.

٦. وجوب الفدية على المحرم إذا حلق رأسه؛ وهي إمَّا صيام ثلاثة أيام،

وإمَّا إطعام ستة مساكين؛ لكل مسكين نصف صاع؛ وإمَّا ذبح شاة تُفَرَّقُ على

الفقراء؛ كما بينت ذلك السنة؛ والسنة تبين القرآن؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]؛ والتبيين يشمل تبين اللفظ

وتبيين المعنى.

٧. أنه لا يجب على الإنسان أن يقترض للهدى إذا لم يكن معه ما يشتري به

الهدى -ولو كان غنيًا-؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

٨. أن الإحرام ينعقد بمجرد النية؛ أي نية الدخول إلى النسك، وثبت بها

(١) أخرجه مسلم (١٩٦٣).

- الأحكام، وإن لم يُلبَّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾.
٩. أنه ينبغي للحاج أن يأخذ معه الزاد الحسبي من طعام وشراب ونفقه؛ لئلا يحتاج في حجه، فيتكفف الناس؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾.
١٠. أن التقوى خير زاد، كما أن لباسها خير لباس؛ فهي خير لباس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وهي خير زاد؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.
١١. جواز الاتجار أثناء الحج بالبيع، والشراء، والتأجير - كالذي يؤجر سيارته التي يحج عليها في الحج -؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
١٢. أنه ينبغي للإنسان في حال بيعه وشراؤه أن يكون مترقباً لفضل الله؛ لا معتمداً على قوته وكسبه؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
١٣. تذكير الإنسان بحاله قبل كماله؛ ليعرف قدر نعمة الله عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَار: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي؟»^(١)، ومنه قول الملك للأبرص والأقرع: «أَلَمْ تَكُنْ أَتْرَصَ يُقَدِّرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟»^(٢)
- الحديث؛ فالتذكير بالنعم بذكر الحال وبذكر الكمال بعد النقص ممَّا يوجب للإنسان أن يزداد من شكر نعمة الله عليه.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

١٤. أَنَّهُ يُشْرَعُ أَنْ يُسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي آخِرِ الْعِبَادَاتِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾.

١٥. أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُدَمُّ إِذَا طَلَبَ حَسَنَةَ الدُّنْيَا مَعَ حَسَنَةِ الْآخِرَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

١٦. أَنَّ الثَّوَابَ يَكُونُ بِالْعَدْلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾؛ لَكِنَّهُ بِالْعَدْلِ فِي الْعُقُوبَةِ، وَبِالْفَضْلِ فِي الْمَثُوبَةِ.

١٧. أَنَّهُ يَجُوزُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ التَّعَجُّلُ وَالتَّأَخُّرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾.

مجموعة (ب):

١. التَّيْسِيرُ عَلَى الْعِبَادِ؛ وَذَلِكَ بِوُقُوعِ الْفِدْيَةِ عَلَى التَّخْيِيرِ.
٢. أَنَّ كَفَّارَاتِ الْمَعَاصِي فَدَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْعُقُوبَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

٣. أَنَّ الْعِلْمَ بِشِدَّةِ عِقُوبَةِ اللَّهِ مِنْ أَهَمِّ الْعُلُومِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ بِخُصُوصِهِ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ، وَالْهَرَبَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

٤. أَنَّ الصَّلَاةَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِالصَّلَاةِ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّلَاةَ ذِكْرٌ لِلَّهِ؛ بَلْ هِيَ رُوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الذِّكْرِ: فِيهَا قِرَاءَةٌ، وَتَكْبِيرٌ، وَتَسْبِيحٌ، وَقِيَامٌ، وَرُكُوعٌ، وَسُجُودٌ، وَقَعُودٌ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ: ذِكْرٌ بِالْقَلْبِ، وَبِاللِّسَانِ،

وبالجوارح؛ ثم من خاصية الصلاة أن كل عضوٍ من أعضاء البدن له ذكرٌ خاصٌ به وعبادةٌ تتعلّق به.

٥. مزية الذكر في هذه الأيام المعدودات؛ لقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾؛ لأن ذكر الله على سبيل العموم في كل الوقت؛ لكن هذا على سبيل الخصوص.



الآيات (٢٠٤-٢٠٧)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾^(١).

من فوائد الآيات^(٢):

مجموعة (أ):

١. **أنه لا ينبغي للإنسان أن يغير بظواهر الأحوال؛** لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾، وكذلك من الناس من يعجبك فعله؛ ولكنه منطوق على الكفر - والعياذ بالله -؛ ولكن لا شك أنه بالنسبة إلينا ليس لنا أن نحكم إلا بما يقتضيه الظاهر؛ لأن ما في القلوب لا نعلمه؛ ولا يمكن أن نحاسب الناس على ما في القلوب، وإنما نحاسبهم على حسب الظاهر.

٢. **أن المعاصي سبب لهلاك الحرث والنسل؛** لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾.

(١) غريب الكلمات: «ألد الخِصام»: شديد الخصومة؛ «يشري نفسه»: يبيع نفسه. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢/٤٤٤).

٣. التحذير من الفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾؛ ومعلوم أن كل إنسان يجب أن يكون حذراً من التعرض لأمر لا يحبه الله.

٤. أن الأنفة قد تحمّل صاحبها على الإثم؛ لقوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِرْزَةُ بِالْإِثْمِ﴾.

٥. أن هذا العمل موجب لدخول النار؛ لقوله تعالى: ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ﴾.

٦. تقسيم الناس إلى قسمين؛ القسم الأول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾، والقسم الثاني: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾.

٧. إثبات الرأفة لله؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

مجموعة (ب):

١. الإشارة إلى دَمَّ الْجَدَلِ وَالْخِصَامِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ﴾؛ لأن الخصومات في الغالب لا يكون فيها بركة، وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُّ الْحَخِصْمُ»^(١)؛ أي الإنسان المخاصم المجادل بالباطل ليُدْحِضَ به الحق، وما من إنسان في الغالب أُعْطِيَ الجدل إلا حُرِمَ بركة العلم؛ لأن غالب من أوتيَ الجدل يريد بذلك نُصْرَةَ قوله فقط؛ وبذلك يُحْرَمُ بركة العلم؛ أمّا من أراد الحق فإنَّ الحقَّ سهلٌ قريبٌ لا يحتاج إلى مجادلات كبيرة؛ لأنَّه واضح، ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة؛ لا خير فيها، وتجد أنهم يخاصمون ويجادلون ويتتهون إلى لا شيء؛ لا يتتهون إلى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

الحق؛ لأنهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه؛ فكلُّ إنسانٍ جادل من أجل أن ينتصر قوله فإنَّ الغالب أنَّه لا يُوفَّق، ولا يجد بركة العلم؛ وأمَّا من جادل ليصل إلى العلم، ولإثبات الحق وإبطال الباطل، فإنَّ هذا مأمورٌ به؛ لقوله تعالى:

﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٢. التحذير من ردِّ الناصحين؛ لأنَّ الله تعالى جعل هذا من أوصاف المنافقين؛ فمن ردَّ أمراً بتقوى الله ففيه شبهة من المنافقين؛ والواجب على المرء إذا قيل له: «اتق الله» أن يقول: «سمعنا وأطعنا» تعظيماً لتقوى الله.

٣. بلاغة القرآن؛ حيث يجعل الأمور «مثنائي»: إذا جاء الكلام عن شيء جاء الكلام عن ضده.

٤. عموم رافة الله عزَّ وجلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿بِالْعِبَادِ﴾؛ هذا إذا كان «العباد» بالمعنى العام؛ أمَّا إذا قلنا بالمعنى الخاص فلا يُستفاد ذلك، واعلم أنَّ العبودية لها معنيان: «خاص» و«عام»؛ والخاص له أخص؛ وهو «خاصَّ الخاص»؛ فمن «العام» قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]؛ وأمَّا الخاص فمثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ المراد بهم عبادُ الرحمن المتصنفون بهذه الصفات؛ فيخرج من لم يتَّصف بها؛ وأمَّا الأخص مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].



الآيات (٢٠٨-٢١٤)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اُدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطٰنِ ۗ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَاِنْ زَلَلْتُمْ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنٰتُ فَاعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا اَنْ يَّاْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِيْ ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَمِنَ النَّوْمِ وَهُوَ حَذِيْقٌ عَلِيْمٌ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرٰءِيْلَ كَمَا ءَاتٰىهُمْ مِنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُوِيْنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَيَسْعُرُوْنَ مِنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَالَّذِيْنَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنذِرِيْنَ ۗ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اَخْتَلَفُوْا فِيْهِ ۗ وَمَا اَخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَعِيًّا ۗ بَيْنَهُمْ فَهَدٰى اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لِمَا اَخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ ۗ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٢١٣﴾ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَآسَآءُ وَالضَّرَآءُ وَرُزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ ۗ مَتٰى نَضُرُّ اللّٰهَ اِلَّا اِنَّ نَضُرُّ اللّٰهَ قَرِيْبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **وجوب تطبيق الشرع جملة وتفصيلاً؛** لقوله تعالى: ﴿اُدْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَآفَّةً﴾.

(١) غريب الكلمات: «السُّلْم»: الإسلام؛ «خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»: مسالك الشيطان؛ «بَعِيًّا»: ظلمًا. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٧/٣).

٢. **تحريمُ اتباعِ خطواتِ الشيطانِ**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ والمعنى: أن لا تتبع الشيطان في سيره؛ لأن الله بين في آيةٍ أخرى أن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، وأيضاً الشيطان لنا عدوٌّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فاطر: ٦]؛ ثم قال تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ ولا أحد من العقلاء يتبع عدوه؛ إذا كان الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، وكان عدواً لنا، فليس من العقل - فضلاً عن مقتضى الإيمان - أن يتابعه الإنسان في خطواته؛ وخطوات الشيطان بينها الله عزَّ وجلَّ: يأمر بـ «الفحشاء» - وهي عظام الذنوب - و«المنكر» - وهو ما دونها من المعاصي -؛ فكلُّ معصيةٍ فهي من خطوات الشيطان؛ سواء كانت تلك المعصية من فعل المحظور، أو من ترك المأمور؛ فإنها من خطوات الشيطان؛ لكن هناك أشياء بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنها من فعل الشيطان، ونصَّ عليها بعينها، مثل: الأكل بالشَّمال، والشرب بالشَّمال، والأخذ بالشَّمال، والإعطاء بالشَّمال، وكذلك الالتفات في الصلاة اختلاصاً يختلسه الشيطان من صلاة العبد؛ فهذه المنصوص عليها بعينها واضحة؛ وغير المنصوص عليها يُقال فيها: كل معصيةٍ فهي من خطوات الشيطان.

٣. **شِدَّةُ عداوةِ الشيطانِ لبني آدم**؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

٤. **قَرْنُ الحُكْمِ بعلته**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، ثم علَّل:

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ويتفرَّع على هذه الفائدة: أنه ينبغي لمن أتى بالأحكام أن يقرنها بالعلل التي تظمن إليها النَّفس؛ فإن كانت ذات دليلٍ من الشرع قرنها بدليل من الشرع، وإن كانت ذات دليلٍ من العقل والقياس قرنها بدليل من العقل والقياس؛ فائدة ذكر

العلّة أنّه يبيّن سموّ الشريعة وكمالها، وأنّه تزيد بها الطمأنينة إلى الحكم، وأنّه يمكن إلحاق ما وافق الحكم في تلك العلة.

٥. أنّه لا تقوم الحُجّة على الإنسان، ولا يستحق العقوبة، إلا بعد قيام البيّنة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ ولهذا شواهد كثيرة من الكتاب والسنة تدلّ على أنّ الإنسان لا حُجّة عليه حتى تقوم عليه البيّنة.

٦. **أنّ الأمور كلّها ترجع إلى الله وحده؛** لقوله تعالى: ﴿وَالِىَ اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ أي: الأمور الكونيّة والشرعية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]؛ فالأمور كلّها مرجعها إلى الله -تبارك وتعالى-؛ وما ثبت فيه أنّه يُرجع فيه إلى الخلق فإنّما ذلك بإذن الله؛ فالحكم بين الناس مرجعه إلى القضاة؛ لكن كان القضاة مرجعاً للناس بإذن الله تعالى.

٧. **انخداع الكافرين بالحياة الدنيا؛** لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

٨. **أنّ العبرة بكمال النهاية؛** لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

٩. **تثبيت المؤمنين وترسيخ أقدامهم في إيمانهم؛** لقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْ

الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ يعني: اصبروا؛ فإنّ هذا دأبهم وشأنهم أن يسخروا منكم؛ فما دُتمتم تعرفون أنّ هذه عادة الكفار فإنّ الإنسان يصبر؛ إذا عرف الإنسان أنّ هذا شيء لا بدّ منه يكون مستعدّاً له وغير متأثراً.

١٠. **أنّ دين الإسلام هو الفطرة؛** لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛

فقبل أن يحصل ما يفتنهم، كانوا على دين واحد؛ دين الإسلام.

١١. أن الشرائع التي جاءت بها الرُّسُل تنقسم إلى «أوامر ونواهي»؛ لقوله تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ لأنَّ الإنذار عن الوقوع في المخالفة، والبشارة: لمن امتثل وأطاع.

١٢. **أَنَّ الْخِلَافَ كَائِنٌ بَيْنَ النَّاسِ لَا مُحَالَةَ**؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، ويدلُّ على ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ولولا هذا ما قامت الدنيا، ولا الدين، ولا قام الجهاد، ولا قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يُمتحن الصادق من الكاذب.

١٣. **الإشارة إلى الطُّرُق الثلاثة التي ذكرها الله تعالى في سورة الفاتحة؛ وهي «طريق الذين أنعم الله عليهم»، و«طريق المغضوب عليهم»، و«طريق الضالين»:**
الذين أنعم الله عليهم: هم الرُّسُل وأتباعهم؛ والمغضوب عليهم: اليهود وأمثالهم؛ والضالون: النصارى وأمثالهم؛ وهذا بالنسبة للنصارى قبل أن يُبعثَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أمَّا لَمَّا بُعِثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذَّبوه صاروا من المغضوب عليهم كاليهود بالنسبة لدين المسيح؛ لأنَّ اليهود كانوا مغضوباً عليهم؛ حيث جاءهم عيسى فكذبوه بعد أن عَلِمُوا الْحَقَّ، وبعد ما بُعِثَ عيسى وأتبعه النصارى وطال الأمد، ابتدعوا ما ابتدعوا من الدِّينِ، فَضَلُّوا؛ فَصَارُوا ضَالِّينَ؛ لَكِن لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَّبُوهُ وَأَنْكَرُوهُ؛ فَصَارُوا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنََّّهُمْ عَلِمُوا الْحَقَّ وَخَالَفُوهُ.

مجموعة (ب):

١. **أَنَّ الْإِيمَانَ مُقْتَضِي لَامْتِثَالِ الْأَمْرِ**؛ لأنَّ الله صَدَّرَ الْأَمْرَ بِهَذَا النِّدَاءِ، وَالْحُكْمَ لَا يُقَرَّنُ بِوَصْفٍ إِلَّا كَانَ لِهَذَا الْوَصْفِ أَثْرٌ فِيهِ؛ وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ مَهْمَةٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

٢. **أَنَّ الْإِنْسَانَ يُؤْمَرُ بِالشَّيْءِ الَّذِي هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهِ بِاعْتِبَارِ اسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهِ وَعَدَمِ الْإِخْلَالِ بِشَيْءٍ مِنْهُ**؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]؛ يَعْنِي: اسْتَمْرُوا عَلَى ذَلِكَ.

٣. **إِثْبَاتُ إِيْتَانِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ**، وَهُوَ إِيْتَانٌ حَقِيقِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَا تَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا -كَسَائِرِ صِفَاتِهِ-؛ قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحْمَةُ اللَّهِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: «الاسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ»؛ هَذَا وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِإِيْتَانِ اللَّهِ: إِيْتَانُ أَمْرِهِ؛ وَهَذَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَصَرَفٌ لِلْكَلامِ عَنْ ظَاهِرِهِ بِلَا دَلِيلٍ إِلَّا مَا زَعَمُوهُ دَلِيلًا عَقْلِيًّا وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ وَهْمِيٌّ، وَليْسَ عَقْلِيًّا؛ فَنَحْنُ نَقُولُ: الَّذِي نَسَبَ فِعْلَ الْإِيْتَانِ إِلَيْهِ هُوَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ؛ وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ؛ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَبَيِّنَ لِعِبَادِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ وَإِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَبَيِّنَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَليْسَ فِي كَلَامِهِ عَيٌّْ وَعَجْزٌ عَنِ التَّعْبِيرِ بِمَا أَرَادَ، وَليْسَ فِي كَلَامِهِ نَقْصٌ فِي الْبَلَاغَةِ؛ إِذَا فَكَلَامَهُ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ؛ وَغَايَةِ مَا

يكون من إرادة الهدى؛ وغاية ما يكون من الفصاحة والبلاغة؛ وغاية ما يكون من الصدق؛ فهل بعد ذلك يمكن أن نقول: إِنَّه لا يُراد به ظاهره؟! كلا؛ لا يمكن هذا إلا إذا قال الله هو نفسه أَنه لم يُرد ظاهره؛ إِذَا المراد إِتيانُ الله نفسه، ولا يُعارض ذلك أَن الله قد يُضيف الإتيان إلى أمره، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]؛ لَأَنَّنا نقول: إِنَّ هذا من أمور الغيب، والصفات توقيفية، فتتوقف فيها على ما ورد؛ فالإتيان الذي أضافه الله إلى نفسه يكون المراد به إتيانه بنفسه، والإتيان الذي أضافه الله إلى أمره يكون المراد به إتيان أمره؛ لَأَنَّهُ ليس لنا أن نقول على الله ما لا نعلم؛ بل علينا أن نتوقف فيما ورد على حسب ما ورد.

٤. **أَنَّ الملائكة أجسام**، خلافاً لمن زعم أَنَّ الملائكة قُوى خير، وَأَنَّهُم أرواح بلا أجسام، والرَّدُّ على هذا الزعم في القرآن والسنة كثير.

٥. **أَنَّ كُلَّ مخالفٍ للحق بعد ما تبين له فهو باغٍ ضال** - وإن قال: أنا لا أريد البغي ولا أريد العدوان -.

٦. **أَنَّهُ يجب على المرء الذي هداه الله ألا يُعجب بنفسه، وألَّا يظنَّ أَن ذلك من حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ؛** لقوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ﴾، ثم قال: ﴿بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: أمره الكوني القُدري؛ ولولا ذلك لكانوا مثل هؤلاء الذين ردُّوا الحقَّ بغياً وعدواناً.

٧. **أَنَّ الصبر على البلاء في ذات الله عَزَّجَلَّ من أسباب دخول الجنة؛** لَأَنَّ معنى الآية: اصبروا حتى تدخلوا الجنة.



الآيات (٢١٥-٢٢٠)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أُنْفِقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ
لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۗ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ
وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا
وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فِمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ۗ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ *
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۗ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ
نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۗ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۗ وَإِنْ
نُحِلُّوهُمُ فَإِخْوَانُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴿١﴾ .

(١) غريب الكلمات: «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ»: بطل عمله الصالح؛ «الْمَيْسِر»: القمار؛ «لَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَعْتَبَكُمْ»: ولو شاء أن يشق عليكم لَشَقَّ عليكم. (المختصر)

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا يَحْقِرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾؛ ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٢).

٢. أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا كَرِهَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ؛ لَا كِرَاهَتَهُ مِنْ حَيْثُ أَمْرٍ الشَّارِعَ بِهِ؛ وَلَكِنْ كِرَاهَتَهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبِيعَةِ؛ أَمَّا مِنْ حَيْثُ الشَّارِعِ بِهِ، فَالْوَاجِبُ الرِّضَا وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ بِهِ.

٣. أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَحْكُمُ حَكْمًا شَرْعِيًّا أَوْ كُونِيًّا عَلَى الْعَبْدِ بِمَا يَكْرَهُ؛ وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

٤. ضَعْفُ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ «عَدَمُ الْعِلْمِ»؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، وقال ممتنًا على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ﴾ [النساء: ١١٣].

٥. أَنَّ الذُّنُوبَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: صَغَائِرَ، وَكِبَائِرَ؛ وَكُلُّ مِنْهُمَا دَرَجَاتٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟»^(٣)، وَحَدُّ الْكِبَائِرِ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكِبَائِرَ مَعْدُودَةٌ، وَذَهَبَ يَتَّبِعُ كُلَّ نَصٍّ قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَعَدَّهَا سَرْدًا،

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٤٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

ومنهم من قال: إن الكبائر محدودة؛ يعني أن لها حداً -أي ضابطاً يجمعها-؛ ليست معيّنة: هذه، وهذه، وهذه؛ ثم اختلفوا في الضابط، فقال بعضهم: كلُّ ذنبٍ لُعن فاعله فهو كبيرة، وقال بعضهم: كل ذنب فيه حدٌّ في الدنيا فهو كبيرة، وقال بعضهم: كل ذنب فيه وعيد في الآخرة فهو كبيرة؛ لكن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قال في بعض كلامٍ له: إنَّ الكبيرة كل ما رُتّب عليه عقوبة خاصة سواء كانت لعنة، أو غضباً، أو حداً في الدنيا، أو نفياً إيمان، أو تبرؤاً منه، أو غير ذلك؛ فالذنب إذا قيل: لا تفعل كذا أو حرم عليك كذا، أو ما أشبه ذلك بدون أن يُجعل عليه عقوبة خاصة بهذا الذنب فهو صغيرة؛ أمّا إذا رُتّب عليه عقوبة -أيّ عقوبة كانت- فإنّه يكون من الكبائر؛ فالغش مثلاً كبيرة؛ لأنّه رُتّب عليه عقوبة خاصة؛ وهي البراءة منه، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)؛ كونُ الإنسان لا يحبُّ لأخيه ما يحب لنفسه كبيرة؛ لأنّه رُتّب عليه عقوبة خاصة، وهي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢)، وكون الإنسان لا يُكرّم جاره كبيرة؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»^(٣)، وعدوانه على جاره أكبر؛ ولهذا قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ»^(٤)، وهذا الضابط أقرب

(١) أخرجه مسلم (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

الضوابط في تعريف الكبيرة؛ ولكن مع هذا لا نقول: إن هذه الكبائر سواء؛ بل من الكبائر ما يقرب أن يكون من الصغائر على حسب ما رُتّب عليه من العقوبة؛ فقطّاع الطريق - مثلاً - أعظمُ جرماً من اللصوص.

٦. **أَنَّ الْفِتْنَةَ - وَهِيَ صَدُّ النَّاسِ عَنْ دِينِهِمْ - أَكْبَرُ مِنْ قَتْلِهِمْ؛** لَأَنَّ غَايَةَ مَا فِي قَتْلِهِمْ أَنْ تَفُوتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا؛ أَمَّا صَدُّهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ؛ لَوْ صُدُّوا عَنْهُ لَفَاتَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتُونَ إِلَى مَوَاضِعِ الْفِتَنِ وَهُمْ يَرُونَ أَنََّّهُمْ لَنْ يُفْتِنُوا، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ بِهِمُ الْأَمْرُ حَتَّى يَقْعُوا فِي الْفِتْنَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّجَالِ: «مَنْ سَمِعَ بِالْدَّجَالِ فَلْيُنَا عَنْهُ مِنْ سَمْعِ بِالْدَّجَالِ فَلْيُنَا عَنْهُ مِنْ سَمْعِ بِالْدَّجَالِ فَلْيُنَا عَنْهُ مَا يَزَالُ بِهِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»^(١)؛ الْمَهْمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُعْرَضُ نَفْسَهُ لِلْفِتَنِ؛ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ وَقَعَ فِي مَوَاقِعِ الْفِتَنِ وَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ أَنَّهُ سَيَتَخَلَّصُ، ثُمَّ لَا يَتَخَلَّصُ.

٧. **أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ جَازِماً بِقَبُولِ عَمَلِهِ؛ بَلْ يَكُونُ رَاجِئاً؛** وَلَكِنَّهُ يَرْجُو رَجَاءً يَصِلُ بِهِ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾؛ لِأَنََّّهُمْ لَا يَغْتَرُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا يُدُلُّونَ بِهَا عَلَى اللَّهِ؛ وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَهَا وَهُمْ رَاجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ.

٨. **كَمَالُ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْخَلْقِ؛** فَاللَّهُ عَلَى الْعَامِلِ عَمَلًا صَالِحًا ثَلَاثَ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ: الْأُولَى: أَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مِنَ الْعَمَلِ غَيْرِ الصَّالِحِ، وَذَلِكَ بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْوَحْيِ عَلَى رُسُلِهِ؛ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ النِّعَمِ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

الثانية: توفيقه لهذا العمل الصالح؛ لأنَّ الله قد أضلَّ أُمَّماً عن العمل الصالح.
الثالثة: ثوابه على هذا العمل الصالح ثواباً مضاعفاً: الحسنه بعشر أمثالها
إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثير.

وهذا ممَّا يدل على كمال رحمة الله بالخلق: أَنَّهُ يُنْعِم، ثم يشكر المنعم عليه،
كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

٩. أَنَّهُ مَهْمَا كَثُرَتِ الْمَنَافِعُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، فَإِنَّ الْإِثْمَ أَكْبَرُ مِنْ مَنَافِعِهِمَا.

١٠. أَنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا مَشَقَّةَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَأَعْتَكُمُ﴾.

مجموعة (ب):

١. حِرْصُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى السُّؤَالِ عَنِ الْعِلْمِ، وَقَدْ وَقَعَ

سؤالهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً.

٢. أَنَّ مِنْ حُسْنِ الْإِجَابَةِ أَنْ يَزِيدَ الْمَسْئُولَ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ السُّؤَالُ إِذَا دَعَتْ

الْحَاجَةَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُمْ سَأَلُوا عَمَّا يَنْفَقُونَ، وَكَانَ الْجَوَابُ عَمَّا يَنْفَقُونَ، وَفِيمَا

يَنْفَقُونَ؛ وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْوَضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ

فَقَالَ: «هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ الْحَلُّ مِيتَتُهُ»^(١).

٣. فَضْلُ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ، وَأَنَّهُ مَقْدَمٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ

وَالْمَسَاكِينِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بَدَأَ بِهِمْ؛ وَلَا يَبْدَأُ إِلَّا بِالْأَهْمِ فَالْأَهْمِ.

٤. أَنَّ لِلْيَتَامَى حَقًّا فِي الْإِنْفَاقِ - وَلَوْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ -؛ لِأَنَّهُ خَصَّهِمُ بِالذِّكْرِ، ثُمَّ

(١) أخرجه أبو داود (٨٣)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

ذكر بعدهم المساكين؛ فإن كانوا يتامى ومساكين، اجتمع فيهم استحقاقان: اليتم والمسكنة، وإذا كانوا أقارب، ويتامى، ومساكين، اجتمع فيهم ثلاثة استحقاقات، وإذا كانوا مع ذلك أبناء سبيل اجتمع فيهم أربعة استحقاقات.

٥. **عموم علم الله عز وجل**؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾؛ فَحَذَفُ الْمَفْعُولِ يَفِيدُ الْعُمُومَ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۗ﴾ [الضحى: ٦-٩]: كُتِبَ عَلَيْهَا مَحْذُوفَةُ الْمَفَاعِيلِ: آوَى، وَآوَى بِكَ أَيْضًا؛ وَأَغْنَى، وَأَغْنَى بِكَ؛ وَهَدَى، وَهَدَى بِكَ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟»^(١).

٦. **أن الدين الإسلامي جاء بتحصيل المصالح ودرء المفاسد.**



(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

الآيات (٢٢١-٢٢٤)

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءَكُمْ حَرَّمَ لَكُمْ فَاَنْتُوا حَرَّمَ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْلًا وَاللَّهُ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُّلْقَوُهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. أنه يحرم على المؤمن نكاح المشركات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ﴾، ويستثنى من ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]؛ فإن هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ

(١) غريب الكلمات: «عُرْضَةً»: حجة مانعة؛ «أَنْ تَبَرُّوا»: من فعل البر. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٧٨/٣).

أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ... ﴿مَخْصُصَةٌ لِآيَةِ الْبَقْرَةِ، وَ«أَل» فِي قَوْلِهِ «الْيَوْم» لِلْعَهْدِ الْحَضُورِيِّ؛ تَفِيدُ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ ثَبَتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ، وَالآيَةُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَنَزُولُهَا بَعْدَ نَزُولِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ؛ لَكِنْ مَعَ كَوْنِ ذَلِكَ مَبَاحًا، فَإِنَّ الْأَوْلَى أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَوَثَّرَ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَرَبَّمَا تَوَثَّرَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضًا؛ إِذَا أَعْجَبَ بِهَا؛ لِجَمَالِهَا، أَوْ ذِكَائِهَا، أَوْ عِلْمِهَا، أَوْ خُلُقِهَا، وَسَلَبَتْ عَقْلَهُ؛ فَرَبَّمَا تَجَرَّهَ إِلَى أَنْ يَكْفُرَ.

٢. **أَنَّ الْحُكْمَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ وَجُودًا وَعَدَمًا؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مَتَى زَالَ الشَّرْكَ حَلَّ النِّكَاحِ، وَمَتَى وُجِدَ الشَّرْكَ حُرِّمَ النِّكَاحُ.

٣. **أَنَّ الْمُؤْمِنَ خَيْرٌ مِنَ الْمُشْرِكِ وَلَوْ كَانَ فِي الْمُشْرِكِ مِنَ الْأَوْصَافِ مَا يُعْجِبُ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]؛ فَلَا تَغْتَرَّ بِالكَثْرَةِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْمَهَارَةِ، وَلَا بِالْجُودَةِ، وَلَا بِالْفَصَاحَةِ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ أَرْجِعْ إِلَى الْأَوْصَافِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقْصُودَةِ شَرْعًا.

٤. **إِثْبَاتُ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾؛ وَالْمَحَبَّةُ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالرِّضَا، وَالْكَرَاهَةِ، وَالْغَضَبِ، وَالسُّخْطِ، وَغَيْرِهَا؛ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

٥. **حُسْنُ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ؛** لِأَنَّهُ جَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ التَّطَهُّرِ الْمَعْنَوِيِّ الْبَاطِنِيِّ، وَالتَّطَهُّرِ الْحِسِّيِّ الظَّاهِرِيِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ - وَهِيَ طَهَارَةٌ بَاطِنَةٌ -، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ - وَهِيَ طَهَارَةٌ ظَاهِرَةٌ -.

٦. **أنه ينبغي للإنسان أن يحاول كثرة النسل؛** لقوله تعالى: ﴿حَرِّثْ لَكُمَّ﴾؛ وإذا كانت حَرْثًا، فهل الإنسان عندما يحرث أرضاً يُقلِّل من الزرع، أو يُكثِر من الزرع؟

فالجواب: الإنسان عندما يحرث أرضاً يُكثِر من الزرع، ويؤيِّد هذا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ»^(١)، وأمَّا القول بتحديد النسل فهذا لا شكَّ أنه من دَسَائِسِ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ يريدون من المسلمين ألاَّ يَكثُرُوا؛ لأنَّهم إذا كثروا أَرَعَبُوهُمْ، واستغنوا بأنفسهم عنهم؛ حَرَّثُوا الْأَرْضَ، وشغلوا التجارة، وحصل بذلك ارتفاع للاقتصاد، وغير ذلك من المصالح؛ فإذا بقوا مستحسرين قليلين صاروا أذلةً، وصاروا محتاجين لغيرهم في كلِّ شيء؛ ثم هل الأمر بيد الإنسان في بقاء النسل الذي حدَّده؟! فقد يموت هؤلاء المحدِّدون؛ فلا يبقى للإنسان نسل.

٧. **نهى الإنسان عن جعل اليمين مانعةً له من فعل البرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس؛** والنهْيُ لِلتَّحْرِيمِ إذا كانت مانعةً له من واجب؛ وقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكْفَرُ عَنْ يَمِينِكَ، وَائْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»^(٢).

٨. **فضيلة الإصلاح بين الناس؛** لقوله تعالى: ﴿وَنُصِّحُوا بِبَيْنِ النَّاسِ﴾؛ فنصَّ عليه مع أنه من البرِّ؛ والتَّنْصِيصُ عَلَى الشَّيْءِ بعد التعميم يدلُّ على العناية به والاهتمام به، ولا ريب أن الإصلاح بين الناس من الأمور الهامة لما فيه من

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٤٠)، والنسائي (٣٢٢٩)، وأبو داود (٢٠٥٠/أ).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٢٥).

رَأْبِ الصَّدْعِ، وَلَمْ الشَّعْثِ، وَجَمَعَ الشَّمْلُ؛ وَهَذَا خِلَافَ مَنْ يَفْعَلُونَ مَا يُوجِبُ
الْقَطِيعَةَ بَيْنَ النَّاسِ؛ مِثْلَ النَّمِيمَةِ - فَهِيَ تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ النَّاسِ -؛ وَلِهَذَا قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ»^(١).

مجموعة (ب):

١. تَفَاوُلُ النَّاسِ فِي أَحْوَالِهِمْ، وَأَنْتَهُمْ لَيْسُوا عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾.

٢. الرَّدُّ عَلَى الَّذِينَ قَالُوا: «إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينُ مَسَاوَاةٍ»؛ لِأَنَّ التَّفْضِيلَ

يَنَافِي الْمَسَاوَاةَ، وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ لَفْظَةُ «الْمَسَاوَاةِ»
مُثَبَّتًا، وَلَا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِهَا، وَلَا رَغَبَ فِيهَا؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ بِالْمَسَاوَاةِ اسْتَوَى
الْفَاسِقُ وَالْعَدْلُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرِيدُهُ أَعْدَاءُ
الْإِسْلَامِ؛ لَكِنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِكَلِمَةٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ كَلِمَةِ «الْمَسَاوَاةِ»؛ وَلَيْسَ فِيهَا
احْتِمَالٌ أَبَدًا، وَهِيَ «الْعَدْلُ»، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل:
٩٠]؛ وَكَلِمَةُ «الْعَدْلُ» تَعْنِي أَنْ يَسَوَى بَيْنَ الْمُتَمَاثِلِينَ، وَيَفَرِّقَ بَيْنَ الْمُفْتَرِقِينَ؛ لِأَنَّ
«الْعَدْلَ» إِعْطَاءَ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ؛ وَالْحَاصِلُ: أَنَّ كَلِمَةَ «الْمَسَاوَاةِ» أَدْخَلَهَا
أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَا سِيَّمًا ذَوُو الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ؛ لَيْسَ عِنْدَهُمْ
تَحْقِيقٌ وَلَا تَدْقِيقٌ فِي الْأُمُورِ، وَلَا تَمْيِيزٌ بَيْنَ الْعِبَارَاتِ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ الْوَاحِدَ يَطُنُّ
هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَلِمَةَ نُورٍ تُحْمَلُ عَلَى الرَّؤُوسِ: «الْإِسْلَامُ دِينُ مَسَاوَاةٍ»! وَنَقُولُ: لَوْ
قُلْتُمْ: «الْإِسْلَامُ دِينُ الْعَدْلِ» لَكَانَ أَوْلَى، وَأَشَدَّ مُطَابَقَةً لِّوَاقِعِ الْإِسْلَامِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٥).

٣. أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَوَالِ الْعِلْمِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيْضِ﴾.

٤. إِثْبَاتُ رُؤْيَةِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُلْقُوهُ﴾؛ وَالْمَلَاقَاةُ فِي الْأَصْلِ: الْمَقَابَلَةُ

مَعَ عَدَمِ الْحَاجِبِ.

٥. تَحْذِيرُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَخَالَفَةِ؛ وَجْهَهُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا فَإِيَّاكَ

أَنْ تُخَالَفَ مَا أَمَرَكَ بِهِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ خَالَفْتَهُ بِمَا يُسْمَعُ سَمِعَكَ، وَبِمَا يُعْلَمُ عَلِمَكَ؛

فاحذرِ اللَّهَ عَزَّجَلَّ.



الآيات (٢٢٥-٢٣٢)

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾
 لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
 الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ
 يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
 ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعُ بِإِحْسِنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا
 ءَاتَيْتُمُوهُنَّ سِتْرًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
 أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا
 طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
 ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَذَكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا
 بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ الرِّبَا الَّذِي لَكُمْ وَأَظْهَرَ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ (١).

(١) غريب الكلمات: «بِاللَّغْوِ»: بسبب الأيمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد؛ «يُؤْلُونَ»: يحلفون على ترك جماع نساءهم؛ «تَرَبُّصٌ»: انتظار؛ «فَأَوْوا»: رجعوا؛ «ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ»: ثلاث حيض؛ «وَبِعُولَتُهُنَّ»: أزواجهن؛ «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»: فلا تمنعهن. (المختصر)

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. **عدم مؤاخذه العبد بما لم يقصده في لفظه**؛ وهذه الفائدة قاعدة عظيمة يترتب عليها مسائل كثيرة؛ منها: لو جرى لفظ الطلاق على لسانه بغير قصد لم تطلق امرأته، ولو طلق في حال غضب شديد لم تطلق امرأته، ولو قال كفرًا في حال فرح شديد لم يكفر، كما في حديث: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ ...»^(٢) الحديث، ولو أكره على كلمة الكفر، فقَالَهَا، وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكفر، وأمثلتها كثيرة.

٢. **أنَّ المَدَارَ على ما في القلوب**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

٣. **أنَّ للقلوب كسبًا**، كما للجوارح؛ فأما ما حدث به الإنسان نفسه دون اطمئنان إليه فإنه لا يؤاخذ به؛ لأنه ليس بعمل؛ ولهذا جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(٣).

٤. **أنَّ رجوع الإنسان عمًا هو عليه من المعصية سببٌ للمغفرة**؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاءَ وَفَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٥. **أنَّه لا حق للزوج في الرجعة إذا لم يكن يريد الإصلاح**؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٩٣/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

أَرَادُوا إِصْلَاحًا»، وقال بعض أهل العلم: «إِنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الشَّرْطِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ»؛ وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ آيَةِ؛ وَالْوَاجِبُ إِبْقَاءُ آيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَرِاجِعَ إِلَّا بِهَذَا الشَّرْطِ.

٦. **اعتبار التكرار بالثلاث**؛ وهذه لها نظائر؛ فالسَّلام ثلاث، والاستئذان ثلاث، وَرَدَّ الْكَلَامِ إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ ثَلَاثَ، وَفِي الْوُضُوءِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا تَكَرَّرَ الثَّلَاثَ كَثِيرًا؛ فَإِذَا الثَّلَاثُ تُعْتَبَرُ تَكَرَّرًا يُكْتَفَى بِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ.

٧. **أنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمَرْءِ إِذَا طَلَّقَ زَوْجَتَهُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ؛ إِمَّا إِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ؛ وَأَمَّا أَنْ يُرَدَّهَا مَعَ الْإِيذَاءِ وَالْمِنَّةِ وَالتَّقْصِيرِ، أَوْ يَسْرِحَهَا بِجَفْوَةٍ وَعَدَمِ إِحْسَانٍ، فَلَا يَجُوزُ.**

٨. **تَحْرِيمُ أَخْذِ الزَّوْجِ شَيْئًا مِمَّا أُعْطِيَ زَوْجَتَهُ مِنْ مَهْرٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ إِلَّا أَنْ يُطَلِّقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ وَالخُلُوعِ فَلَهُ نِصْفُ الْمَهْرِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.**

٩. **تَحْرِيمُ الْمَطْلُوقَةِ ثَلَاثًا عَلَى مَطْلَقِهَا حَتَّى تَتَزَوَّجَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾.**

١٠. **الْاِكْتِفَاءُ بِالظَّنِّ فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ؛ لِأَنَّ طَلَبَ الْيَقِينِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ بَابِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ ظَنَّ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ فَقَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»^(١).**

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

ويتفرّع على هذه الفائدة فائدة مهمة، وهي: إذا حَلَفَ الإنسان على المستقبل بناءً على غَلْبَةِ الظَّنِّ، فتبيّن بخلافه، فلا كَفَّارَةَ فيه؛ لأنّه يحلف على ما في نفسه، وعلى ظنّه؛ وهذا القول هو الراجح، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

١١. **تعظيمُ شأنِ النكاحِ بأنَّ الله ذكر له حدوداً في عقده، وفي حلّه؛ لأنّه يترتّب** عليه مسائل كثيرة من المحرمية، والنسب، والميراث، وغير ذلك؛ كحقوق الزوجية؛ ولهذا أُشترط فيه أن يكون بوليّ؛ فالمرأة تستطيع أن تبيع كل مالها؛ لكن لا تستطيع أن تزوّج نفسها، كما أُشترط فيه الإشهاد على رأي كثيرٍ من أهل العلم، وكلّ العقود لا يُشترط فيها ذلك؛ وأيضاً أُشترط فيه الإعلان على رأي بعض أهل العلم، والعقود الأخرى لا يُشترط فيها ذلك؛ وأيضاً أنّه لا يصلح العقد في بعض الأحوال والأزمان، وهذا يُشاركه فيه بعض العقود؛ وكل ذلك من باب الأهمية في هذا العقد العظيم الذي تترتّب عليه هذه الأمور الكبيرة.

١٢. **وجوب المعاشرة بالمعروف حتى بعد الطلاق؛** لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ لئلا يؤذي الإنسان زوجته بالقول، أو بالفعل، أو بمنع الحقوق، أو ما أشبه ذلك، وممّا هو معروف أنّ ما يجري بين الأزواج أحياناً من المشاحنة وادّعاء الزوج ما يكون لزوجته من الأمتعة التي أعطها إياها في المهر أو فيما بعد ذلك؛ حتى يُطالبها بالحليّ الذي أعطها؛ خلاف المعروف الذي أمر الله به.

١٣. **أنّ فِعْلَ المعاصي ظُلْمٌ للنفس؛** فلا يقول الإنسان: «أنا حرٌّ، أفعل ما أشاء، وأصبر على العذاب»؛ هذا خطأ؛ فأنت لا يحلُّ لك أن تظلم نفسك؛ فَظُلْمُ الغير

عدوان وحرام، وظلمُ النفس أيضاً عدوان وحرام؛ وفي الحديث: «وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(١).

١٤. إثبات اليوم الآخر - وهو يوم القيامة -؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما ذُكِرَ في ذلك اليوم من البعث، والحساب، والصراط، ودنو الشمس، والعرق، وغير ذلك ممَّا في الكتاب والسنة مجملًا أحيانًا ومفصلاً أحيانًا؛ بل قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: يدخل فيه الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وغير ذلك.

١٥. الإشارة إلى نقص الإنسان في علمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فنفى عن الإنسان العلم؛ والمراد نفى كماله؛ لأنَّ الإنسان له علم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِ عَمِلْتُمْ هُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَايُوهُمْ إِنِ عَمِلْتُمْ فِيهِنَّ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]؛ لكنَّ لِنقصان علمه نفى الله عنه العلم؛ وهنا قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فإذا كان الله يعلم، ونحن لا نعلم، فإنَّ مقتضى ذلك أن نستسلم غاية الاستسلام لأحكامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن لا نعارضها بعقولنا مهما كانت؛ ولهذا ينعي الله عزَّجَلَّ على الكفار والمشركين «عدم العقل»؛ وكل ما خالف الشرع فليس بعقل.

مجموعة (ب):

١. أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُحِبُّ الطَّلَاقَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

٢. أنه ينبغي ذكر ما يُوجب القبول والعمل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْأُخْرَى﴾.

٣. عِظَمُ شَأْنِ النِّكَاحِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿تَاكَّ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؛ فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، وَنَهَى عَنِ تَعَدِّيهِ؛ وَقَدْ سَبَقَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾^(١).

٤. أَنَّ شَرِيعَةَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ كُلُّهَا حِكْمَةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَالْحِكْمَةِ﴾.

ويتفرّع على هذه الفائدة فائدة أخرى: وهي أنه لا حاجة إلى أن نُتعب أنفسنا في طلب الحكمة، أو أن نتمحّل حكمةً بعيدة قد تكون مرادةً لله أو غير مرادة؛ لأننا نعلم أن كل ما شرّعه الله فهو لحكمة؛ ومن الحكمة «امتحان العبد بالامتحان فيما لا يعلم حكمته»؛ ولهذا لما سُئلت عائشة -رضي الله عنها-: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: «كان يُصيّبنا ذلك، فنؤمّر بقضاء الصّوم، ولا نؤمّر بقضاء الصّلاة»^(٢)؛ فجعلت الحكمة «أمر الله ورسوله»؛ أمّا السؤال عن الحكمة من باب الاسترشاد فإنّ هذا لا بأس به؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن حكمة بعض الأشياء، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾؛

(١) قال الشيخ في تفسير الآية: قال العلماء: إذا كانت الحدود مما يجب فعله، قال تعالى: «فلا

تعتدوها»، وأما إذا كانت الحدود من المحرمات فإنه تعالى يقول: «فلا تقربوها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).

والسؤال على هذا الوجه من باب طَلَبِ العلم الذي يزدادُ به المؤمن إيمانًا وعلماً؛ وأمّا السؤال عن الحكمة بحيث لا يستسلم الإنسان للحُكْم ولا ينقاد إلا بمعرفتها، فهذا ضلالٌ واستكبار عن الحقِّ، واتِّباعٌ للهوى، وجَعْلُ الشريعة تابعةً لا متبوعةً.

٥. تحذيرُ المرء من المخالفة؛ لأنَّه إذا عَلِمَ أَنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليم، حَذَرَ من مخالفته؛ ولهذا أعقبها بعد الأمر بالتقوى، وقال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٦. أَنَّ الاتِّعَاضَ بِأحكامِ الله تَزَكِيَةً لِلنَّفْسِ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لَأَزْكِيَ لَكُمْ﴾؛ فهو ينمي النفس، وينمي الإيمان، وينمي الأخلاق، وينمي الآداب؛ فكلَّمَا كان الإنسان أشدَّ تطبيقاً لأحكامِ الله كان ذلك أزكى له.



الآيات (٢٣٣-٢٤٢)

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَالِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَعَالِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَعَالِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَإِنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

وَلَمْ تُطَلَّقْ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **وجوب الإرضاع على الأم**؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُولَادُتُ يُرْضَعْنَ﴾.
٢. **أن الرضاع التام يكون حولين كاملين**؛ لقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.
٣. **أنه ينبغي استعطف المخاطب بما يقتضي عطفه على الشيء**؛ لقوله تعالى: ﴿يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾؛ حيث أضاف الأولاد إلى المرضعات.
٤. **اعتبار العرف بين الناس**؛ لقوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ وهذا ما لم يخالف الشرع؛ فإن خالفه رد إلى الشرع.
٥. **أنه يجب على المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**؛ فيرجع إلى العرف في نوع الرزق، وكميته، وكيفيته، وكذلك الكسوة.
٦. **أن الله عز وجل لا يكلف نفساً ما لا تطيق**؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي طاقتها؛ وينفّر على هذه الفائدة: بيان رحمة الله عز وجل بعباده، وأن الله سبحانه وتعالى لا يكلفهم إلا ما يطيقون.

(١) غريب الكلمات: «فصلاً»: فطام الولد؛ «عروضتم»: التلميح؛ «أكنتم»: أخفيتم؛ «عقدة النكاح»:

عقد النكاح؛ «فوجالاً»: مشاة على أرجلكم. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/١٤٧).

٧. **تحريم المضارة**؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَضَارَّ وِلْدَةً بِوِلْدِهَا وَلَا مَوْلُودًا لَهُ بِوِلْدِهِ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «من ضارَّ ضارَّ الله به»^(٢)؛ ولا فرق بين أن تكون المضارة من الوالدة للمولود له، أو بالعكس؛ لأن الآية تحتل هذا، وهذا.

٨. **أنه يجوز للأُم أن تَطمِ الولد قبل تمام الحولين؛ لكن بشرط «التراضي والتشاور»**؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.
٩. **أنَّ عِدَّةَ المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام**، سواء كانت تحيض أو لا تحيض، ويُسْتثنى من ذلك: الحامل؛ فَعِدَّتُهَا إِلَى وَضْعِ الحَمْلِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]؛ ولا عِدَّة للمتوفى عنها زوجها سوى هاتين.

١٠. **جواز التعريض في خطبة المتوفى عنها زوجها**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾.

١١. **الترغيب في العفو**؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وقد حثَّ الله على العفو ويبيِّن أنَّ أَجْرَ العَافِي على الله عَزَّجَلَّ؛ ولكنَّه تعالى قيَّد ذلك بما إذا كان العفو إصلاحًا، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

١٢. **وجوب المحافظة على الصلوات**؛ لقوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾؛ والأصل في الأمر الوجوب.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٣٥)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال حديث صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح (٢٥٠).

فإن قيل: إن النوافل لا تجب المحافظة عليها؟

فالجواب: أنه لا مانع من استعمال المشترك في معنييه؛ فتكون المحافظة على الفرائض واجبة، وعلى النوافل سنة.

١٣. بيان نقص الإنسان لكون الأصل فيه الجهل؛ حيث قال تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؛ فالأصل في الإنسان «الجهل» حتى يُعَلِّمَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

١٤. أن الزوجة تبقى زوجيتها حتى بعد الموت؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾. ولا يقول قائل: إن المراد باعتبار ما كان؛ لأن هذا خلاف الأصل، فإن قال قائل: فإذا كان الأمر كذلك فإنها لا تحل لأحد بعده؟ قلنا: هي مقيدة بمدة العدة؛ ويبدل على ذلك أن المرأة إذا مات زوجها جاز لها أن تغسله؛ ولو كانت أحكام الزوجية منقطعة ما جاز لها أن تغسل زوجها.

١٥. أن المرأة يحل لها إذا أوصى زوجها أن تبقى في البيت، أن تخرج ولا تُنفذ وصيته؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن هذا شيء يتعلق بها، وليس لزوجها مصلحة فيه.

ويتفرع عليه: لو أوصى الزوج الزوجة ألا تتزوج من بعده لا يلزمها؛ لأنه إذا كان لا يلزمها أن تبقى في البيت مدة الحول فلأن لا يلزمها أن تبقى غير متزوجة من باب أولى.

وكذلك يُؤخذ منه قياساً: كل من أوصى شخصاً بأمرٍ يتعلق بالشخص الموصى له فإن الحق له في تنفيذ الوصية وعدم تنفيذها.

١٦. **أنه لا يمكن أن يوجد في الشرع حكم غير مبين**؛ لقوله تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾؛ والآيات هنا جمعٌ مضافٌ؛ فيعمُّ.

فإن قال قائل: إننا نجد بعض النصوص تخفى علينا؟
فالجواب: أن ذلك إما لقصورٍ في فهمنا، وإما لتقصيرٍ في تدبرنا، وإما لنقصٍ في علومنا؛ أما أن النص نفسه لم يُبين فهذا شيء مستحيل.
مجموعة (ب):

١. **أنه لا يكفي المراضاة بين الزوجين في الفطام**؛ بل لا بدَّ أن يكون هذا بعد التَّشاور والمراجعة في الأمر؛ حتى إذا تبينت مصلحة الطفل، جاز ذلك.
٢. **أن المسؤولين عن النساء هم الرجال**؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.
٣. **الإشارة إلى العناية بالعدة، وأنه ينبغي أن تكتب**؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾.

٤. **أن هذا القرآن العظيم «مثنائي»**؛ بمعنى: تُثنى فيه الأمور والمواضيع؛ فإذا ذُكِرَ «أهل الجنة» ذُكِرَ «أهل النار»، وإذا ذُكِرَ «الرجاء» ذُكِرَ معه «الخوف»، وهكذا، وقد نصَّ الله على ذلك فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ وهو هذا القرآن، ومثاله في هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى لما «حذَّر»، قال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

٥. **أن الأعمال تتفاضل**؛ لقوله تعالى: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.
٦. **فضيلة صلاة العصر**؛ لأنَّ الله خصَّها بالذكر بعد التعميم؛ وهي أفضل الصلاتين المفضلتين - العصر والفجر -، وقد بينَّ النبي صلى الله عليه وسلم

فصلهما في أحاديث؛ منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»^(٢).

٧. جواز الحركة الكثيرة في الصلاة للضرورة؛ لقوله تعالى: ﴿فَرِحَالًا﴾؛ لَأَنَّ الرَّاجِلَ - وهو الماشي - يتحرك حركة كثيرة.

٨. أَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ الذِّكْرِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾؛ والكلام هنا عن الصلاة.

٩. أَنَّهُ يَنْبَغِي ذِكْرُ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْإِمْتِثَالِ؛ فعلاً للمأمور وتركاً للمحذور؛ لقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾؛ لَأَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ بِهِ مُخَالَفٌ لِلتَّقْوَى؛ وَالْقِيَامُ بِهِ مِنَ التَّقْوَى.

١٠. الشَّاءُ عَلَى الْعَقْلِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُ اللهُ غَايَةً لِأَمْرِ مَحْمُودٍ - وهو تبيين الآيات -؛ والمراد «عقل الرشد» السالم من الشبهات والشهوات - أي الإرادات السيئة -.



(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

الآيات (٢٤٣-٢٥٢)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلَكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَعَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَكُوا اللَّهَ كَرَمٌ مِّنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾ .

من فوائد الآيات (٢) :

مجموعة (أ) :

١. **أنه لا فرار من قدر الله**؛ لقوله تعالى: ﴿حَدَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، وقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الطَّاعُونَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» (٣) .
٢. **أنَّ الله نعمةٌ على الكافر**؛ لعموم قوله تعالى: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾؛ ولكن نعمة الله على الكافر ليست كنعمة الله على المؤمن؛ لأنَّ نعمة الله على المؤمن نعمةٌ متصلةٌ بالدنيا والآخرة؛ وأمَّا على الكافر فنعمته في الدنيا فقط.
٣. **أنَّ الشَّاكر من النَّاس قَلِيلٌ**؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.
٤. **أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَمْدُحُ نَفْسَهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ**؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّ

(١) غريب الكلمات: «بَسْطَةٌ»: سَعَةٌ؛ «التابوت»: كان صندوقاً يعظمه بنو إسرائيل أُحِذَ مِنْهُمْ؛ «فَصَلَّ»:

خَرَجَ؛ «أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا»: صُبَّ عَلَى قُلُوبِنَا الصَّبْرَ صَبًّا. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفتاحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).

اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ»^(١)؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُمدَّحَ، وَيُحْمَدَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ صَدَقَ، وَحَقٌّ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحَقُّ مِنْ يَشْنَى عَلَيْهِ، وَأَحَقُّ مِنْ يُحْمَدُ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ الْحَقَّ.

٥. **الحثُّ على النَّظَرِ والاعتبار**؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا إِلَى آثَمَاتٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

٦. أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى تَرْكِ الْمَحْظُورِ، أَوْ الْقِيَامِ بِالْمَأْمُورِ؛ فَإِذَا ابْتُلِيَ نَكَصَ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾؛ مع أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْأَوَّلِ مَتَشَجِّعِينَ عَلَى الْقِتَالِ.

٧. **الإشارة إلى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللهُ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمْوَهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»**^(٢)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلِينَا عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسُبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبِيعُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»^(٣)، وَيُشْبِهُهُ هَذَا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَنْذِرُونَ النَّذَرَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُوفُونَ بِهِ؛ ثُمَّ لَا يُوفُونَ بِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَلَّهَدَ اللهُ لَبِئْسَ مَا آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

٨. **أَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ**؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٣)، ومسلم (٢٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

- أَلْفِتَالُ إِلَّا تَفَتَّلُوا؛ فكان ما توقعه نبيهم واقعا؛ فإنهم لما كُتِبَ عليهم القتال تولَّوا.
٩. **أَنَّ تَرْكَ الْوَاجِبِ مِنَ الظُّلْمِ؛** لقوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾؛ أي المتولِّين الذين فُرِضَ عليهم القتال ولم يقوموا به؛ فدلَّ ذلك على أَنَّ الظلم ينقسم إلى قسمين: إمَّا فِعْلٌ محرَّم، وإمَّا تَرْكٌ واجب.
١٠. **بَيَانُ أَنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَوْقَ كُلِّ تَصَوُّرٍ؛** لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ مع أَنَّهُم قَدَحُوا فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ فَقِيرٌ؛ فَبَيَّنَ نَبِيُّهُمْ: أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.
١١. **أَنَّ الْإِيمَانَ مَوْجِبٌ لِلصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ؛** لقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرَّمْنَا قَلِيلًا مِّنْ فِتْنَةٍ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.
١٢. **أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ يَرْحَمُ الْخَلْقَ بِمَا يَكُونُ فِيهِ بَقَاءُ حَيَاتِهِمْ؛** لقوله تعالى هنا: ﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾؛ لِأَنَّهُمْ لَا بَدَّ أَنْ يَشْرَبُوا لِلنَّجَاةِ مِنَ الْمَوْتِ.
١٣. **أَنَّ الْقَلِيلَ مِنَ النَّاسِ هُمُ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عِنْدَ الْبَلْوَى؛** لقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.
١٤. **أَنَّ الْيَقِينَ يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الصَّبْرِ، وَالتَّحَمُّلِ، وَالْأَمَلِ، وَالرَّجَاءِ؛** لقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرَّمْنَا قَلِيلًا مِّنْ فِتْنَةٍ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ مع اليقين، قالوا هذا القول لغيرهم لما قال لهم أولئك: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾؛ فَردُّوا عليهم.
١٥. **إِثْبَاتُ مَلَاقَةِ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾،

كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ۖ﴾ [الإنشاق: ٦].

١٦. **الترغيب في الصبر**؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ والصبر ثلاثة

أنواع:

الأول: صبرٌ على طاعة الله: بأن يحبس الإنسان نفسه على الطاعة، فيقوم بها من غير ملل ولا ضجر.

الثاني: الصبر عن محارم الله: بأن يحبس نفسه عما حرم الله عليه من قول أو عمل.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة: بأن يحبس نفسه عن التسخط على ما يُقدِّره الله من المصائب العامة والخاصة. وأعلها الأول، ثم الثاني، ثم الثالث.

١٧. **أن من تمام العبودية أن يلجأ العبد إلى ربه عند الشدائد**؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

١٨. **أن داود عليه الصلاة والسلام أوتي الملك والنبوة**؛ لقوله تعالى:

﴿وَعَاتَنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

١٩. **أن هناك رسلاً آخرين غير الرسول**؛ لقوله تعالى: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛

ولكنه صلى الله عليه وسلم كان خاتم النبيين؛ إذ لا نبي بعده.

مجموعة (ب):

١. **أن معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾** [يس: ٨٢] أن الله

عَزَّجَلَّ يتكلم بما أراد؛ لا أن يقول: «كن» فقط؛ بل يتكلم بما أراد: كن كذا؛ كن

كذا؛ لأنَّ الكلام بكلمة «كُنْ» مُجْمَلٌ؛ ولَمَّا قال الله للقلم: «اكتبْ، قال: رَبِّ، وماذا أكتب؟»^(١)؛ فيصيرُ معنى «كُنْ»: أي الأمر المستفاد من هذه الصيغة؛ ولكنَّه يكونُ أمراً خاصّاً؛ فلو كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريدُ أن يُنزلَ مطراً؛ لا يقول «كُنْ» فقط؛ بل يكون بالصيغة التي أراد الله عَزَّجَلَّ.

٢. تحذيرُ هذه الأمة عن التولّي عن القتال إذا كُتِبَ عليهم.

٣. أنَّ بعض السّؤال يكون نكبةً على السائل، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ سُّؤَالٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

٤. أنَّ أكثرَ عباد الله لا يُنفذُ أمرَ الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾؛ وهذا أمرٌ يشهدُ به الحال؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ وثبتَ عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنَّ بعثَ النار من بني آدم تسعمائة وتسعةً وتسعون من الألف^(٢)؛ فالطائع قليل، والمعاند كثير.

٥. فضيلةُ الصّبر؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

٦. إضافةُ الحوادث إلى الله عَزَّجَلَّ وإن كان من فعل الإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾؛ هذا فعلهم، لكن ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ فالله هو الذي أذن بانتصارِ هؤلاء وخذلانِ هؤلاء.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

الآية (٢٥٣)

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَكَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾^(١).

من فوائد الآية^(٢):

مجموعة (أ):

١. أن الرُّسُلَ عليهم السلام يتفاضلون؛ لقوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

٢. أن كلام الله للإنسان يُعتبر رِفْعَةً له؛ لأن الله تعالى ساق قوله: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ على سبيل الثناء والمدح.

ومنه يُؤخذ علوُّ مقام المصلِّي؛ لأنه يُخاطب الله عَزَّجَلَّ ويناجيه، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإذا قال المصلِّي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: «حَمْدَنِي عَبْدِي»؛ وإذا قال المصلِّي: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾، قال الله: «أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي»^(٣) إلى آخر الحديث؛ فالله تعالى يناجي المصلِّي، وإن كان المصلِّي لا

(١) غريب الكلمات: «رُوحُ الْقُدُسِ»: جبريل عليه السلام. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢٣٨/٣).

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥).

يسمعه؛ لكن أخبر بذلك الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. **إثبات المشيئة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ

مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

مجموعة (ب):

١. **الرَّد على النصارى في زعمهم أن عيسى إله؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ

الْقُدُسِ﴾؛ أي قوّيناه؛ ولازم ذلك أنه يحتاج إلى تقوية؛ والذي يحتاج إلى تقوية لا يصلح أن يكون ربّاً وإلهاً.

٢. **بيان حكمة الله عَزَّجَلَّ في انقسام الناس إلى مؤمن وكافر؛** لقوله تعالى:

﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيْنَهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾؛ ولولا هذا ما استقام الجهاد، ولا حصل الامتحان.

٣. **الرَّد على الجبرية؛** لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ﴾ و ﴿كَفَرَ﴾؛ حيث أضاف الفعل

إلى العبد؛ وهم يرون أن الإنسان مجبرٌ على عمله، ولا يُنسب إليه الفعل إلا على سبيل المجاز، كما يُقال: أحرقت النار الخشب، وهذه الآية تردُّ عليهم.

٤. **إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو خالق أفعال العباد؛** لقوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا

يُرِيدُ﴾؛ مع أن الفعل فعل العبد؛ فالأقتال فعل العبد، والاختلاف فعل العبد؛ لكن لما كان صادراً بمشيئة الله عَزَّجَلَّ وبخلقه، أضافه الله عَزَّجَلَّ إلى نفسه.



الآيات (٢٥٤-٢٥٧)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَعُوا مِمَّا رَزَقْنَاكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةً ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُحْصِلُ الرِّزْقَ بِمَجْرَدِ كَسْبِهِ؛ الْكَسْبُ سَبَبٌ؛

لكن المسبب هو الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكَ﴾؛ فلا ينبغي أن يعجب

(١) غريب الكلمات: «وَلَا خُلَّةٌ»: ولا صداقة؛ «الْقَيُّومُ»: القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع

خَلْقِهِ، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها؛ «سِنَّةٌ»: نعاس؛ «وَلَا يَأْتِيهِ نَوْمٌ»:

ولا يثقله أو يشق عليه؛ «الطَّاغُوتُ»: بكل ما يُعبد من دون الله؛ «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا

انْفِصَامَ لَهَا»: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا ينقطع للنجاة يوم القيامة. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٢٤٧/٣).

الإنسان بنفسه؛ حتى يجعل ما اكتسبه من رزق، من كسبه وعمله؛ كما في قول القائل: إنما أوتيته على علمٍ عندي.

٢. **أَنَّ الْكُفْرَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ؛** ووجه الدلالة منه: حصرُ الظلم في الكافرين؛ وطريقُ الحصرِ هنا ضمير الفصل: ﴿هُمُ﴾.

٣. **أَنَّ إِتْفَاقَ جَمِيعِ الْمَالِ لَا بَأْسَ بِهِ؛** وهذا على تقدير «من» بيانية؛ بشرط أن يكون الإنسان واثقاً من نفسه بالتكسبِ وصدقُ التوكُّلِ على الله.

مسألة:

ظاهرُ الآية الكريمة أن الإِنْفَاقَ مطلق في أيِّ وجهٍ من وجوه الخير؛ ولكن هذا الإطلاق مقيّد في آياتٍ أُخرى، مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١]؛ وعلى هذا: فيكون إطلاقُ الآية هنا مقيّداً بالآيات الأخرى التي تدل على أن الإِنْفَاقَ المأمور به ما كان «في سبيل الله» - أي: في شرعه -.

مسألة ثانية:

ظاهرُ الآية نفْيُ الشفاعة مطلقاً؛ وحينئذٍ نحتاج إلى الجَمْعِ بين هذه الآية وبين النصوص الأخرى الدالة على إثبات الشفاعة في ذلك اليوم؛ فيقال: الجمعُ أن يُحْمَلَ مطلق هذه الآية على المقيّد بالنصوص الأخرى، ويُقال: إنَّ النصوص الأخرى دلّت على أن هناك شفاعة؛ لكن لها ثلاثة شروط: رضى الله عن الشافع، وعن المشفوع، وإذنه في الشفاعة.

٤. **إِثْبَاتُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ؛** وهي: «الله»؛ «الحي»؛ «القيوم»؛ «العلي»؛

«العظيم»، وما تضمّنته من الصفات.

٥. إثباتُ صفة «الحياة» لله عَزَّجَلَّ؛ وهي حياةٌ كاملة: لم تُسبَقِ بَعْدَمَ، ولا يلحقها زوال، ولا تُوصَفُ بنقص؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِمُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٦. إثباتُ «القيومية» لله عَزَّجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿الْقَيُّومُ﴾، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق؛ لأنه ما من مخلوقٍ إلا وهو محتاجٌ إلى غيره: فنحن محتاجون إلى العُمَّالِ والعمال محتاجون إلينا، ونحن محتاجون إلى النساء والنساء محتاجةٌ إلينا، ونحن محتاجون إلى الأولاد والأولاد يحتاجون إلينا، ونحن محتاجون إلى المال والمال محتاج إلينا - من جهة حفظه وتنميته -؛ والكلُّ محتاجٌ إلى الله عَزَّجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وما من أحدٍ يكون قائماً على غيره في جميع الأحوال؛ بل في دائرة ضيقة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ يعني: الله؛ فلا أحدٌ سواه قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت.

٧. عمومُ مُلْكِ الله؛ لقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ويتفرَّع على كَوْنِ المُلْكِ لله: ألا نتصرَّف في ملكه إلا بما يرضاه.

٨. أنه لا يُكْرَهُ أحدٌ على الدِّينِ لوضوح الرُّشد من الغي؛ لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؛ هذا على القول بأنها «خبرية»؛ أمَّا على القول بأنها «إنشائية»؛ فإنه يُستفادُ منها أنه لا يجوز أن يُكْرَهُ أحدٌ على الدِّينِ، وبيَّنتُ السُّنة كيف نُعامل الكفار؛ وذلك بأن ندعوهم إلى الإسلام؛ فإن أبوا فإلى بَدَلِ الجزية؛ فإن أبوا قاتلناهم.

٩. **أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا «رُشْدٌ» أَوْ «غِيٌّ»؛** لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ ثَالِثٌ لَذَكَرَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ حَصْرٍ، وَيَدُلُّ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤].

١٠. **فَضِيلَةُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ تَحَصَّلَ بِهِ وِلَايَةُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

١١. **أَنَّ الْكَافِرِينَ مَخْلَدُونَ فِي النَّارِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ؛ وَالصَّاحِبُ لِلشَّيْءِ: الْمَلَاذِمُ لَهُ. مَجْمُوعَةٌ (ب):

١. **أَنَّ الْإِنْفَاقَ مِنْ مَقْتَضَى الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْبُخْلَ نَقْصٌ فِي الْإِيمَانِ؛** وَلِهَذَا لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِخِيَلًا؛ الْمُؤْمِنُ جَوَادٌ بِعِلْمِهِ؛ جَوَادٌ بِجَاهِهِ؛ جَوَادٌ بِمَالِهِ؛ جَوَادٌ بِبَدَنِهِ.

٢. **الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ لَا مَنَّةَ لِلْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ مِمَّا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِهِ؛** لِأَنَّ مَا أَنْفَقَهُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ لَهُ.

٣. **الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَالْمَعْتَزَلَةِ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ؛** لِأَنَّ الْخَوَارِجَ وَالْمَعْتَزَلَةَ يَنْكُرُونَ الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُمَا أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مَخْلَدٌ فِي النَّارِ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الشَّفَاعَةُ.

٤. **تَحْرِيمُ تَكْيِيفِ صِفَاتِ اللَّهِ؛** لِأَنَّ اللَّهَ مَا أَعْلَمْنَا بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ؛ فَإِذَا ادَّعَيْنَا عِلْمَهُ فَقَدْ قُلْنَا عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ.

٥. **أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ تَحْتَاجُ إِلَى حِفْظٍ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَفُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾؛ وَلَوْ لَا حِفْظُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

- أَنْ تَزُولَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمَسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].
٦. أَنَّهُ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالْكَفْرِ بِالطَّاعُوتِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدِ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.
٧. أَنَّ الْخُلُودَ خَاصٌّ بِالْكَافِرِينَ وَأَنَّ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُخَلَّدُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ يَعْنِي: دُونَ غَيْرِهِمْ.



الآيات (٢٥٨-٢٦٠)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمَنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴿١﴾.

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أَنَّ الْمُحَاجَّةَ لِإِبْطَالِ الْبَاطِلِ وَإِحْقَاقِ الْحَقِّ مِنْ مَقَامَاتِ الرَّسْلِ؛** لقوله

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟﴾.

(١) غريب الكلمات: «فُهِتَ»: تحير وانقطع؛ «لَمْ يَتَسَنَّهْ»: لم يتغير؛ «نُنشِزُهَا»: نرفعها ونضم بعضها

إلى بعض؛ «فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ»: فاضممهن إليك وقطعهن. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/ ٢٨١).

٢. **أَنَّ النِّعَمَ قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِلطُّغْيَانِ؛** لأنَّ هذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلا لأنَّ الله آتاه المُلْكُ؛ ولهذا أحيانا تكون الأمراض نِعَمَ من الله على العبد؛ لأنَّ الإنسان إذا دامَ في نعمة، وفي رغدٍ وعيشٍ هنيءٍ، فإنَّه ربما يطغى وينسى الله عَزَّوَجَلَّ.
٣. **أَنَّ الإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛** لقوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾؛ إذا، فاعتَمِدَ على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تَخَفْ ولا تُقَدِّرْ أسباباً وهميةً؛ مثلاً دُعِيتَ إلى أيِّ عملٍ صالحٍ فقلت: أخشى إنْ عَمِلْتُ هذا العملَ أنْ أموتَ؛ نقول: هذا إذا كان مجرد «وَهُمْ»؛ فإنَّ هذه الخشية لا ينبغي أن يُبغى أن يُبني عليها حكماً؛ بحيث تمنعه من أمرٍ فيه مصلحته وخيره.
٤. **أَنَّ الحَقَّ لَا تَمَكُنُ المِجَادَلَةَ فِيهِ؛** لقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.
٥. **بِلاغَةُ القرآن؛** حيث يُنَوِّعُ الأدلَّةَ والبراهين على الأمور العظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَ كَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾؛ فهذه الآية، وما قبلها وما بعدها، كلها في سياق قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ على إحياء الموتى.
٦. **الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الطَّبِيعَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ السُّنَّانَ الكُونِيَّةَ لَا تَتَغَيَّرُ؛** لقوله تعالى: ﴿لَوْ يَسَّنَّةٌ﴾؛ لكون هذا الطعام والشراب لم يتغير لمدة مائة سنة، والرياح تمرُّ به، والشمس والحَرُّ.
٧. **أَنَّهُ يَنْبَغِي النِّظْرَ إِلَى الآيَاتِ عَلَى وَجْهِ الإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾؛ مُطْلَقٌ؛ ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا...﴾ إلى آخره؛ فيقتضي أن نتأمَّل أولاً في الكَوْنِ من حيث العموم؛ ثم من حيث التفصيل؛ فإنَّ ذلك أيضاً يزيدنا في الإيمان.

٨. **أَنَّ التَّوَسُّلَ إِلَى اللَّهِ بِرَبُوبِيَّتِهِ مِنْ آدَابِ الدَّعَاءِ الَّتِي يَتَوَسَّلُ بِهَا الرَّسُولُ؛** لقوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾؛ **لأنَّ إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية؛ إذ إنه فعلٌ؛ وكل ما يتعلق بأفعال الربِّ فهو من مقتضيات الربوبية؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذَكَرَ الرجلُ يطيل السفر يمدُّ يديه إلى السماء: يقول: «يا رب، يا رب»^(١)؛ ولو تأملت أكثر أدعية القرآن لوجدتها مُصدَّرة بـ «الرب»؛ لأنَّ إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية.**

مجموعة (ب):

١. **صِحَّةُ إِضَافَةِ الْمُملِكِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾.
٢. **فَضِيلَةُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛** حيث قال مُفْتَخِرًا ومعتزًّا أمام هذا الطاغية: ﴿رَبِّي﴾؛ فأضافه إلى نفسه، كأنه يفتخر بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَبُّهُ.
٣. **أَنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ فَضْلَهُ عَنْ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ هَذَا الْمَمْنُوعُ هُوَ السَّبَبُ؛** لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ فَظَلَمَهُمْ لَمْ يَهْدِهِمُ اللَّهُ، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].
٤. **إِثْبَاتُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ؛** لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِيَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾؛ فففيه ردُّ على من قال: إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ ولا ريب أنَّ هذا القول ضعيف؛ لأنَّ الواقع يُكذِّبه، والنُّصوص تُكذِّبه أيضًا: ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]؛ وفي السنة: «ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

وَدِينٍ أَدْهَبَ لِلرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(١)؛ فالإيمان يزيد كميّةً وكيفيّةً؛ فمثال زيادة الكمية أنّ الذي يُسبِّح عَشْرًا أزيد إيمانًا من الذي يُسبِّح خمسًا، والذي يُصَلِّي عشر ركعات أزيد إيمانًا من الذي يصَلِّي ستًّا؛ وأمّا زيادة الكيفية، فمثالها: رجل صَلَّى ركعتين بطمأنينة وخشوع وتأمل فإيمانه أزيد ممّن صَلَّىهما بسرعة؛ كذلك يزداد الإيمان بحسب إقرار القلب: كلما كثرت الآيات لدى الإنسان فلا شكّ أنّ إيمانه يزدادُ قوّةً ورسوخًا؛ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]؛ أي على طَرَفٍ؛ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾: هذا إيمانه ضعيفٌ مهزوز: إن لم تأتته فتنة فهو مستقر، وإن أتته فتنة -شبهة أو شهوة- انقلب على وجهه؛ فمثلاً نحن الآن في المملكة العربية السعودية ليس عندنا -والله الحمد- أحد يعارضنا في العقيدة؛ فليس عندنا معتزلة، ولا جهميّة، ولا جبريّة...؛ فنحن ثابتون على الفطرة؛ ولكن لو يُبتلى الإنسان، فيأتيه واحد من عفاريت الإنس؛ جيّد في المجادلة والمحاجّة من المعتزلة؛ لأوشك أو يؤثّر عليه وينقله إذا لم يكن لديه رسوخ في العلم والإيمان؛ كذلك لو أنّ إنساناً عنده إيمان لكن تعرّضت له امرأة ذات منصب وجمال وأغرته حتى وقع في الفاحشة، وإنسان آخر تعرّضت له هذه المرأة فقال: «إني أخاف الله» تجد الفرق بينهما؛ فالمهم أنّ القول الراجح الذي لا شكّ فيه، والذي تدلُّ عليه الأدلة السمعيّة والواقعيّة، أنّ الإيمان يزيد وينقص.



(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

الآيات (٢٦١-٢٦٥)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْهَاطُهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴿١﴾ .

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. فضيلة الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه ينمو للمنفق حتى تكون الحبة سبعمائة

حبة.

(١) غريب الكلمات: «صَفْوَانٍ»: حَجَرٌ أَمْلَسٌ؛ «صَلْدًا»: أَمْلَسٌ؛ «رَبْوَةٌ»: بستان؛ «وَابِلٌ»: مطرٌ غزير؛

«فَطَلٌّ»: مطرٌ خفيف. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/٣٠٩).

٢. الإشارة إلى الإخلاص لله في العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ بأن يقصدوا بذلك وجه الله عزَّوجلَّ.

٣. إثبات الملكية للإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿ أَمْوَالُهُمْ ﴾؛ فإن الإضافة هنا تُفيد الملكية.

٤. أن ثواب الله وفضله أكثر من عمل العامل؛ لأنه لو عومل العامل بالعدل لكانت الحسنة بمثلها؛ لكن الله يعامله بالفضل والزيادة؛ فتكون الحبة الواحدة سبعمئة حبة؛ بل أزيد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

٥. فضيلة القول المعروف؛ لقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعَهَا أَذَى ﴾؛ و«القول المعروف»: كل ما عرفه الشرع والعادة؛ مثال ذلك: أن يأتي رجل يسأل مالا، بحاله أو مقاله؛ فكلمه المسؤول وقال: «ليس عندي شيء، وسيرزق الله، وإذا جاء شيء، فإنا نجعلك على البال»، وما أشبه ذلك؛ فهذا قولٌ معروفٌ لئِن وهين.

٦. تحريم المن والأذى في الصدقة؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾.

٧. أن المن والأذى بالصدقة منافي لكمال الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾؛ كأنه يقول: «إن مقتضى إيمانكم ألا تفعلوا ذلك؛ وإذا فعلتموه صار منافياً لهذا الوصف، ومنافياً لكماله».

٨. تحريم مُراعاة الناس بالعمل الصالح؛ لقوله تعالى: ﴿ كَالَّذِي يُفِئُ مَالَهُ رِثَاءَ

النَّاسِ؛ وَالتَّسْمِيعَ كالمِراءاة، والفرق بينهما: أَنَّ المِراءاة فيما «يُرى» - كالأفعال-، والتسميع بما «يُقال».

٩. بيان ما للنية من تأثير في قبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿أَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

١٠. بيان أن تثبيت الإنسان لِعَمَلِهِ، واطمئنانه به، من أسباب قبوله؛ لقول الله

تعالى: ﴿وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ لأنَّ الإنسان الذي لا يعمل إلا كارهًا فيه خصلةٌ

من خصال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرْهُونَ﴾

[التوبة: ٥٤].

١١. أَنَّهُ يَحْسُنُ فِي التَّعْلِيمِ أَنْ يُبَيِّنَ المَعْقُولَ بِالمَحْسُوسِ؛ لقوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾؛ وهذا من البلاغة لأنه يُقَرِّبُ المَعْقُولَ إلى أذهان الناس.

١٢. أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَكَانَ البِسْتَانِ طَيِّبًا فَإِنَّهُ يَكْفِي فِيهِ المَاءَ القَلِيلَ؛ لقوله تعالى:

﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

مجموعة (ب):

١. الإِشَارَةُ إِلَى موافقة الشَّرْعِ؛ لقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لأنَّ «في» للظرفية؛

والسبيل بمعنى الطريق؛ وطريقُ الله: شَرْعُهُ؛ والمعنى: أن هذا الإنفاق لا يخرج

عن شريعة الله؛ والإنفاق الذي يكون موافقًا للشَّرع هو ما ذَكَرَهُ بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

ومعنى إنفاقهم في شرع الله؛ أن يكون ذلك «إِخْلَاصًا لِلَّهِ» و«أَتْبَاعًا لِشَرْعِهِ»؛

فمن نوى بإنفاقه غيرَ الله، فليس في سبيل الله؛ مثل «المرائي»: رجلٌ أنفق في

الجهاد، أو أنفق في الصدقة على المساكين؛ لكنَّه أنفق ليُقال: إن فلانًا جواد، أو

أنه كريم؛ هذا ليس في سبيل الله؛ لأنه مرأى؛ لم يقصد وجه الله عَزَّجَلَّ؛ إذا لم يُرد السبيل الذي يُوصِلُ إلى الله، ولا يهْمُه أن يقبلَ الله منه أو لا يقبل؛ المهمّ عنده أن يُقال عند الناس: إنه رجلٌ كريم أو جواد.

وأما أن يكون على حَسَبِ شريعة الله: فإن أنفق في وجه لا يرضى به الله فليس في سبيل الله - وإن أخلص لله-، كرجل يُنفق على البدع يريد بذلك وجه الله - وهذا كثير-: كبناء الرُّبَط للصوفية المنحرفة، وبناء البيوت للأعياد الميلادية، وبناء القصور للمآتم، وطَبَع الكتب المشتملة على بدع؛ هذا قد يريد الإنسان بذلك وجه الله؛ لكنّه خلافَ شريعة الله؛ فلا يكون في سبيل الله.

٢. **أن الأعمال الصالحة تتفاضل**، ويلزم من تفاضلها تفاضل العامل، وزيادة الإيمان أو نقصانه.

٣. **إثبات كَوْن القياس دليلاً صحيحاً**؛ وجه ذلك: التَّمثيل والتَّشبيه؛ فكُلُّ تمثيل في القرآن فإنه دليلٌ على القياس؛ لأنَّ المقصود به نَقْلُ حُكْم هذا المشبه به إلى المشبه.

٤. **أنه لا إنفاق نافع إلا ما كان مملوكاً للإنسان**؛ لقوله تعالى: ﴿أَمْوَالُهُمْ﴾؛ فلو أنفق مال غيره لم يُقبل منه إلا أن يكون بإذن من الشارع، أو المالك. فإن قال قائل: عندي مال محرّم لكسبه، وأريد أن أتصدّق به فهل ينفعني ذلك؟ فالجواب: إن أنفقه للتقرّب إلى الله به: لم ينفعه، ولم يَسَلِّمْ من وِزْرِ الكَسْب الخبيث؛ والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)،

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

وإن أراد بالصدقة التخلُّص منه، والبراءة من إثمه: نَفَعَهُ بِالسَّلَامَةِ مِنْ إِثْمِهِ،
وصار له أَجْرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ؛ لَا أَجْرَ الصَّدَقَةِ.

ولو قال قائل: عندي مال اكتسبته من «ربا»؛ فهل يصح أن أبني به مسجداً،
وتَصِحُّ الصَّلَاةُ فِيهِ؟

فالجواب: بالنسبة لصحة الصلاة في هذا المسجد هي صحيحة بِكُلِّ حَالٍ،
وبالنسبة لثواب بناء المسجد: إِنْ قَصَدَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَلَمْ
يَسْلَمْ مِنْ إِثْمِهِ؛ وَإِنْ قَصَدَ التَّخْلُصَ، سَلِمَ مِنَ الْإِثْمِ، وَأُثِّبَ؛ لَا ثَوَابَ بَانِي
المسجد ولكن ثواب التائب.

٥. **إِثْبَاتُ رِضَا اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾؛ وهو من الصفات الفعلية.



الآيات (٢٦٦-٢٧٤)

﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَاهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴿١﴾ .

(١) غريب الكلمات: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ»: ولا تقصدوا الرديء؛ «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ»: إلا إذا تغاضيتم عنه مكرهين، على رداءته؛ «الْحِكْمَةَ»: السداد في القول والإصابة في العمل؛ «أُولُوا =

من فوائد الآيات^(١):

مجموعة (أ):

١. **الحثُّ على التفكير، وأنه غايةٌ مقصودة؛** لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ فالإنسان مأمورٌ بالتفكير في الآيات الكونية والشرعية؛ لأنَّ التفكير يؤدي إلى نتائج طيبة؛ لكن هذا فيما يُمكن الوصول إليه بالتفكير فيه؛ أمَّا ما لا يمكن الوصول إليه بالتفكير فيه فإنَّ التفكير فيه ضياع وقت، وربما يُوصِل إلى محذور؛ مثل التفكير في صفات الله عزَّ وجلَّ: هذا لا يجوز؛ لأنك لن تصل إلى نتيجة؛ ولهذا جاء في الأثر: «تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله»^(٢)؛ لأنَّ هذا أمرٌ لا يمكن الوصول إليه؛ وغاية لا تمكن الإحاطة بها، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فلا يجوز لأحد أن يتفكر في كيفية استواء الله على العرش؛ بل يجب الكفُّ عنه؛ لأنَّ سيؤدِّي إلى نتيجة سيئة: إمَّا إلى التكييف، أو التمثيل، أو التعطيل، ولا بدَّ؛ وأمَّا التفكير في معاني أسماء الله فمطلوب؛ لأن المعنى كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا سُئِلَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

= الألباب»: أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنور الله وتهدي بهديه؛ «نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ»: التزمتم فعلٌ طاعةٍ لله؛ «أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ»: منعهم الجهاد في سبيل الله؛ «صَرَبًا فِي الْأَرْضِ»: طلبًا للرزق؛ «بِسِمَاهُمْ»: بعلا ماتهم؛ «إِلْحَافًا»: مُلْحِن. (المختصر)

(١) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، وفي سننه الوازع بن نافع، وقال العراقي في الوازع بن نافع: متروك. «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين، الفاتحة - البقرة».

٢. **وجوب الإنفاق من طيبات ما كَسَبْنَا؛** لقوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا﴾؛ والأصل في الأمر الوجوب حتى يقوم دليل آخر صارف عن الوجوب.

٣. **تحريمُ قَصْدِ الرديء في إخراج الزكاة؛** لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

٤. **الإشارة إلى قاعدة إيمانية عامة؛ وهي قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»^(١)؛ ووجه الدلالة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ﴾؛ فالإنسان لا يرضى بهذا لنفسه فلماذا يرضاه لغيره؟! فإذا كنت أنت لو أعطيت الرديء من مال مشترك بينك وبين غيرك ما أخذته إلا على إغماض وإغضاء عن بعض الشيء؛ فلماذا تختاره لغيرك ولا تختاره لنفسك؟! وهذا ينبغي للإنسان أن يتَّخذه قاعدة فيما يُعامل به غيره؛ وهو أن يعامله بما يحب أن يعامله به؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَخَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٢)؛ هذه قاعدة في المعاملة مع الناس؛ ومع الأسف الشديد أن كثيراً من الناس اليوم لا يتعاملون فيما بينهم على هذا الوجه؛ كثيراً من الناس يرى أن المَكْرَ غنيمته، وأن الكذب غنيمته.

٥. **إثبات إغواء الشياطين لبني آدم؛** لقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾.

(١) أخرجه البخاري (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

٦. **أَنَّ لِلشَّيْطَانِ تَأْثِيرًا عَلَى بَنِي آدَمَ إِقْدَامًا أَوْ إِحْجَامًا؛** أمَّا الإِقْدَامُ: فَيَأْمُرُهُ بِالزُّنَى مِثْلًا، وَيُزَيِّنُ لَهُ حَتَّى يُقَدِّمَ عَلَيْهِ؛ وَأَمَّا الإِحْجَامُ: فَيَأْمُرُهُ بِالْبُخْلِ، وَيَعِدُّهُ الْفَقْرَ لَوْ أَنْفَقَ؛ وَحِينَئِذٍ يُحْجِمُ عَنِ الْإِنْفَاقِ.

٧. **أَنَّ أَبْوَابَ التَّشَاوُمِ لَا يَفْتَحُهَا إِلَّا الشَّيَاطِينُ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعِدُّكُمْ أَلْفَقَرَ﴾؛ فَالشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي يَفْتَحُ لَكَ بَابَ التَّشَاوُمِ؛ يَقُولُ: «إِذَا أَنْفَقْتَ الْيَوْمَ أَصْبَحْتَ غَدًا فَقِيرًا؛ لَا تَنْفَقْ»؛ وَالإِنْسَانُ بَشَرٌ: رَبَّمَا لَا يَنْفَقُ؛ رَبَّمَا يَنْسَى قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وَقَوْلَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(١).

٨. **البُّشْرَى لِمَنْ أَنْفَقَ بِالمَغْفِرَةِ وَالزِّيَادَةِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾؛ شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْوَعْدَيْنِ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ أَلْفَقَرَ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾؛ فَاللَّهُ يَعِدُّنَا بِشَيْئَيْنِ: المَغْفِرَةَ وَالفَضْلَ؛ المَغْفِرَةَ لِلذُّنُوبِ، وَالفَضْلَ لَزِيَادَةِ المَالِ فِي بَرَكَتِهِ وَنَمَائِهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَزِيدُ اللَّهُ تَعَالَى المَنْفِقَ فَضْلًا وَنَحْنُ نَشَاهِدُ أَنَّ الإِنْفَاقَ يَنْقُصُ المَالَ حِسًّا؛ إِذَا أَنْفَقَ الإِنْسَانُ مِنَ العَشْرَةِ دَرَهْمًا صَارَتْ تِسْعَةً؛ فَمَا وَجْهُ الزِّيَادَةِ؟ فَالجَوَابُ: أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَزِيَادَةِ الأَجْرِ فِي الآخِرَةِ فَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّ الحَسَنَةَ بَعْشَرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ وَمَنْ تَصَدَّقَ بِمَا تَعَادَلُ تَمْرَةٌ مِنْ طَيِّبٍ -وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ-، فَإِنَّ اللَّهَ يُرَبِّبُهَا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ؛ وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلزِّيَادَةِ الحَسْبِيَّةِ فِي الدُّنْيَا فَمِنْ عَدَّةِ أَوْجِهٍ:

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٨).

الوجه الأول: أن الله قد يفتح للإنسان باب رزق لم يخطر له على بال؛ فيزداد ماله.

الوجه الثاني: أن هذا المال ربما يقيه الله سبحانه وتعالى آفات لولا الصدقة لوقعت فيه؛ وهذا مُشاهد؛ فالإنفاق يقي المال الآفات.

الوجه الثالث: البركة في الإنفاق؛ بحيث ينفق القليل، وتكون ثمرته أكثر من الكثير؛ وإذا نُزعت البركة من الإنفاق فقد ينفق الإنسان شيئاً كثيراً في أمور لا تنفعه، أو تضره؛ وهذا شيءٌ مُشاهد.

٩. أن هذه المغفرة التي يعِدُّنا الله بها مغفرة عظيمة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْهُ﴾؛ لأنَّ عِظَمَ العطاء من عِظَمِ المُعطي؛ ولهذا جاء في الحديث الذي وصَّى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر: «فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي»^(١).

١٠. أن ما في الإنسان من العلم والرُّشد فهو فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ فإذا منَّ اللهُ سبحانه وتعالى على العبد بعلم، ورُشد، وقوة، وقدرة، وسمع، وبصر؛ فلا يترفع؛ لأنَّ هذه الصفات من الله عزَّ وجلَّ؛ ولو شاءَ لَحَرَمَهُ إياها، أو لَسَلَبَهُ إياها بعد أن أعطاه إياها؛ فقد يسلب الله العلم من الإنسان بعد أن أعطاه إياه، وربما يسلب منه الحكمة؛ فتكون كل تصرُّفاته طيشاً، وضلالاً، وهدرًا.

١١. أن الإنفاق قليله وكثيره يُثاب عليه المرء؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾، وكلمة «نفقة» نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعمُّ؛ وعلى ذلك؛

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

تشمل القليل والكثير؛ لكن الثواب عليها مشروطٌ بأميرين: الإخلاص لله، وأن تكون على وفق الشرع.

١٢. **أَنَّ إِخْفَاءَ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِبْدَائِهَا؛** لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَسْتَرٌ لِلْمَتَّصِدِّقِ عَلَيْهِ؛ لَكِنْ إِذَا كَانَ فِي إِبْدَائِهَا مَصْلَحَةٌ تَرْجِحُ عَلَى إِخْفَائِهَا؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ فِي إِبْدَائِهَا سَبَبًا لِاقْتِدَاءِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، أَوْ يَكُونَ فِي إِبْدَائِهَا دَفْعٌ مَلَامَةٍ عَنِ الْمَتَّصِدِّقِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ؛ فإِبْدَاؤُهَا أَفْضَلُ.

١٣. **أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تُعْتَبَرُ حَتَّى يُوَصِّلَهَا إِلَى الْفَقِيرِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوُضِّعَتْهَا لِّلْفُقَرَاءِ﴾.

ويتفرَّع على هذا فرعان:

أحدهما: أَنَّ مَوْنَةَ إِيْصَالِهَا عَلَى الْمَتَّصِدِّقِ.

الثاني: أَنَّهُ لَوْ نَوَى أَنْ يَتَّصِدَّقَ بِمَالِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَلَّا يَتَّصِدَّقَ فَلَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْفَقِيرِ.

١٤. **أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا بَلَغَ شَرِيعَةَ اللَّهِ بَرَّتْ ذِمَّتُهُ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾؛ وَلَوْ كَانَتْ ذِمَّتُهُ لَا تَبْرَأَ لَكَانَ مَلْزَمًا بِأَنْ يَهْتَدُوا.

١٥. **نَفْيُ الظُّلْمِ فِي جِزَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾؛ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ كَمَالَ عَدْلِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ كَلَّمَا نَفَى عَنِ نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ ضِدِّهِ.

١٦. **فَضِيلَةُ التَّعَفُّفِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

١٧. **الإشارة إلى الفِرَاسَةِ وَالْفِطْنَةِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَعَرَّفَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾؛ فَإِنَّ

«السَّيِّمًا» هي العلامة التي لا يَطَّلَعُ عليها إلا ذوو الفراسة؛ وكم من إنسانٍ سليم القلب، ليس عنده فِرَاسة ولا بُعد نظر، يُخدع بأدنى سبب؛ وكم من إنسانٍ عنده قوة فِرَاسة، وحزم، ونظر في العواقب، يحميه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفِرَاسَتِهِ عن أشياء كثيرة.

مجموعة (ب):

١. ما يَتَبَيَّن من اختلاف التعبير في قوله تعالى: ﴿مِن طَبِيبَتٍ مَا كَسَبَتْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾؛ فلماذا عَبَّرَ في الأول تعبيراً يدلُّ على أَنَّ ذلك من فعل العبد، وفي الثانية عَبَّرَ تعبيراً يدلُّ على أنه ليس من فعل العبد؟ الأمر في ذلك واضح؛ لأنَّ نمو التَّجَارَةِ بالكَسْب، وغالبُهُ من فِعْلِ العبد: يبيع، ويشترى، ويكسب؛ أما ما خرج من الأرض فليس من فعل العبد في الواقع، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤].

٢. إثبات القياس؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾؛ يعني إذا كنت لا ترضاه لنفسك فلا ترضاه لغيرك؛ أي قَسَّ هذا بهذا.

٣. أَنَّ البُخْلَ من الفواحش؛ لأنَّ المقام مقام إنفاق؛ فيكون المراد بالفاحشة: البُخْلُ وعدم الإنفاق.

٤. أَنَّ عدم التذكُّر نقصٌ في العقل؛ أي «عقل الرشد»؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؛ فَإِنَّ الحكم إذا عَلَّقَ بوصف ازداد قوَّةً بقوَّة ذلك الوصف ونَقَصَ بنقص ذلك الوصف.

٥. تحذير العبد من المخالفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ فَإِنَّ

إخباره إيانا بذلك يستلزم أن نخشى من خبرته عَزَّجَلَّ؛ فلا يفقدنا حيث أمرنا، ولا يرانا حيث نهانا.

٦. **إثبات وجه الله عَزَّجَلَّ؛** لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾؛ وأهل السنة والجماعة يقولون: إنَّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجْهًا حَقِيقِيًّا مَوْصُوفًا بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ لَا يُمَاطِلُ أَوْجِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وأنه من «الصفات الذاتية الخبرية»؛ والصفات الذاتية الخبرية هي التي لم يزل، ولا يزال متَّصِفًا بها، ونظير مُسَمَّاهَا أبعاض وأجزاء لنا. وأهل التعطيل ينكرون أن يكون لله وجه حقيقي، ويقولون: المراد بـ الوجه «الثواب»، أو الجهة، أو نحو ذلك؛ وهذا تحريف مخالف لظاهر اللفظ، ولإجماع السلف؛ ولأنَّ الثواب لا يوصف بالجلال والإكرام؛ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ وَجْهَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛ فقال تعالى: ﴿وَيَبْغَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٧. **الإشارة إلى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾؛ وهذا - أعني: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ - ثابتٌ بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف؛ لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؛ فقد فَسَّرَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الزيادة» بأنها «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»، إلى آيات أخرى؛ وأمَّا السنة فقد تواترت بذلك؛ ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(١)؛ وأمَّا إجماع السلف فقد نقله غير واحدٍ من أهل العلم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٥٤)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

٨. التنبية على أنه ينبغي للإنسان أن يكون فطنًا؛ ذا حزمٍ ودقّة نظر؛ لأنّ الله وصفَ هذا الذي لا يعلم عن حال هؤلاء بأنّه «جاهل»؛ فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾؛ فينبغي للإنسان أن يكون ذا فطنةٍ وحزمٍ ونظرٍ في الأمور.

٩. أنّ الإنفاق يكون سبباً لشرح الصدر، وطرد الهمّ والغمّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ وهذا أمرٌ مجربٌ مشاهد؛ أنّ الإنسان إذا أنفق يتغي بها وجه الله انشرح صدره، وسرّت نفسه، واطمأن قلبه، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» أنّ ذلك من أسباب انشراح الصدر.



الآيات (٢٧٥-٢٨١)

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ (١).

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **أن الشيطان يتخبَّط بني آدم فيضرعه؛** ولا عبرة بقول من أنكَّر ذلك من المعتزلة وغيرهم، وقد جاءت السنة بإثبات ذلك؛ والواقع شاهدٌ به، وقد قسّم

(١) غريب الكلمات: «يَأْكُلُونَ الرِّبَا»: يتعاملون بالربا؛ «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا»: يهلك الله المال الربوي ويذهب؛ إما حسًّا بتلفه ونحو ذلك، أو معنًى بنزع البركة منه؛ «فَأْذَنُوا»: فاعلموا واستيقنوا؛ «ذُو عُسْرَةٍ»: مُعْسِرًا

لا يجد سداد دينه؛ «فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ»: فأخروا مُطالبتَه إلى أن يتيسَّر له المال. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/٣٧٦).

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في زاد المعاد الصَّرْع إلى قسمين: صرْعٌ بتشجُّج الأعصاب؛ وهذا يُدرِكُهُ الأطباء ويُقَرُّونه ويعالجونه بما عندهم من الأدوية، والثاني: صرْعٌ من الشيطان؛ وذلك لا علم للأطباء به، ولا يُعالج إلا بالأدوية الشرعية كقراءة القرآن، والأدعية النبوية الواردة في ذلك.

٢. **أَنْ مَا أَخَذَهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الرَّبِّا قَبْلَ الْعِلْمِ فَهُوَ حَلَالٌ لَهُ بِشَرَطِ أَنْ يَتُوبَ وَيُنْتَهِيَ؛** لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾.

٣. **أَنَّهُ لَوْ تَابَ مِنَ الرَّبِّا قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَهُ فَإِنَّهُ يَجِبُ إِسْقَاطُهُ؛** لقوله تعالى: ﴿فَاتَّهَىٰ﴾؛ ومن أَخَذَهُ بعد العلم فإنه لم ينته؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عَرَفَةَ في حجة الوداع: «وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله»^(١)؛ فبيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ما لم يُؤخَذْ مِنَ الرَّبِّا فَإِنَّهُ موضوع.

٤. **أَنَّ اللَّهَ يُرَبِّي الصَّدَقَاتِ؛ أَي يَزِيدُهَا؛** والزيادة إمّا أَنْ تكون حِسِّيَّة، وإمّا أَنْ تكون معنويَّة؛ فإن كانت حسية فبالكمية؛ مثل أَنْ ينفق عشرة، فيُخَلِّفُ اللهُ عَلَيْهِ عشرين، وأمّا المعنوية فأن يُنزل اللهُ البركة في ماله.

٥. **أَنَّهُ لَا بَدَّ مَعَ الْإِيمَانِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛** فمجرد الإيمان لا ينفع العبدَ حتى يقوم بواجبه؛ أي واجب الإيمان: وهو العمل الصالح.

٦. **أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَفِيدُ حَتَّى يَكُونَ صَالِحًا؛** والصالح: أَنْ يبني العمل على أمرين: «الإخلاص لله» عزَّوَجَلَّ؛ وضدُّه الشُّرك، و«المتابعة»؛ وضدُّها البدعة؛

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

فمن أخلص الله في شيء ولكنه أتى بعمل مبتدع، لم يقبل منه؛ ومن أتى بعمل مشروع لكن خلطه بالشرك، لم يقبل منه، وأدلة هذا معروفة.

٧. **أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ضَمِينَ الْأَجْرَ لِمَنْ آمَنَ، وَعَمَلَ صَالِحًا، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ**

وَأَتَى الزَّكَاةَ؛ لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

٨. **أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ - الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ،**

وِإِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ - ليس عليهم خوفٌ من مستقبل أمرهم؛ ولا حزنٌ

فيما مضى من أمرهم؛ لأنهم فعلوا ما به الأمن التام، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٩. **وَجُوبٌ تَقْوَى اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ و«التقوى» وصية الله

لعباده الأولين والآخرين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ

قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

١٠. **أَنَّ الْمُصِرَّ عَلَى الرَّبَا مَعْلَنُ الْحَرْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛** لقوله تعالى:

﴿فَإِذْ نُوِّبَ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ويتفرع على هذه الفائدة أنه إذا كان معلناً

الحرب على الله ورسوله، فهو معلن الحرب على أولياء الله ورسوله؛ وهم

المؤمنون؛ وذلك بدلالة الالتزام؛ لأن كل مؤمن يجب أن ينتصر لله ورسوله؛

فالمؤمنون هم حزبُ الله عزَّ وجلَّ ورسوله.

١١. **أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ مِنَ الرَّبَا أَلَّا يَأْخُذَ شَيْئًا مِمَّا**

استفاده من الربا؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَّئْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾.

١٢. **فضيلة الإبراء من الدين، وأنه صدقة؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ

لَكُرٍّ؛ والإبراء سُنَّةٌ؛ والإنظار واجب؛ وهنا السُّنَّةُ أفضل من الواجب بِنَصِّ القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ ووجه ذلك أن الواجب ينتظم في السنة؛ لأنَّ إبراء المعسر إنظارٌ وزيادة؛ وعلى هذا فيبطل إلغاز من ألغز بهذه المسألة وقال: «لنا سُنَّةٌ أفضل من الواجب»، ومثل ذلك قول بعضهم في الوضوء ثلاثاً: «إنه أفضل من الوضوء واحدة مع أن الواحدة واجب، والثلاث سُنَّةٌ»؛ فيلغز بذلك ويقول: «هنا سُنَّةٌ أفضل من واجب»؛ فيقال له: هذا إلغازٌ باطل؛ لأنَّ هذه السُّنَّةُ مشتملة على الواجب؛ فهي واجبٌ وزيادة؛ وصدق الله حيث قال في الحديث القدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه»^(١)؛ وهذا الحديث يُبطل مثل هذه الألغاز التافهة.

١٣. وجوبُ اتِّقاء هذا اليوم الذي هو «يوم القيامة»؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾؛ واتِّقاؤه يكونُ بفعلٍ أو امرٍ الله، واجتنابِ نواهيه.
١٤. إثباتُ البعث؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

مجموعة (ب):

١. مبالغة أهل الباطل في ترويح باطلهم؛ لأنَّهم جعلوا المقيس هو المقيس عليه؛ لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَلْبِيعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾؛ وكان مقتضى الحال أن يقولوا: إنما الرِّبَا مثل البيع.
٢. إثباتُ المحبة لله عزَّ وجلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾؛ ووجه الدلالة أن نفي المحبة عن الموصوف بالكفر والإثم يدلُّ على إثباتها لمن

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

لم يَتَّصِفْ بِذَلِكَ - أي لمن كان مؤمناً مطيعاً-؛ ولولا ذلك، لَكَانَ نَفْيُ الْمَحَبَّةِ عَنْ «الْكَفَّارِ الْأَثِيمِ» لِعَوًّا مِنَ الْقَوْلِ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] عَلَى أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرُونَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا حُجِبَ الْكَفَّارُ عَنْ رُؤْيَيْهِ فِي حَالِ الْغَضَبِ دَلَّ عَلَى ثُبُوتِهَا لِلْأَبْرَارِ فِي حَالِ الرِّضَا؛ وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ خَفِيٌّ جَيِّدٌ، وَالْمَحَبَّةُ الثَّابِتَةُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ هِيَ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ وَليست - كما قال أهل التعطيل - «إِرَادَةٌ الثَّوَابِ»، أَوْ «الثَّوَابِ»؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الثَّوَابِ نَاشِئَةٌ عَنِ الْمَحَبَّةِ؛ وَليست هِيَ الْمَحَبَّةُ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ - أَعْنِي إِجْرَاءَ النُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ - اتَّفَقَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ السَّلَفِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ مَا يَتَحَدَّثُ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ يَجِبُ عَلَيْنَا الْاِقْتِصَارَ فِيهَا عَلَى مَا وَرَدَ.

٣. بَيَانُ أَهْمِيَّةِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ.

٤. تَحْرِيمُ أَخْذِ مَا يُسَمَّى بِ«الْفَوَائِدِ» مِنَ الْبَنُوكِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْفَوَائِدَ تَوْخِذٌ مِنَ الْبَنُوكِ لِئَلَّا يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الرِّبَا؛ وَإِذَا كَانَ الْبَنُوكُ بَنُوكَ كَفَّارٍ، فَلِئَلَّا يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْكُفْرِ؛ فَنَقُولُ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَّ اللَّهُ! وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾؛ وَالِاسْتِحْسَانُ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ بَاطِلٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ الْبَنُوكُ بَنُوكًا غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ، وَلَوْ تَرَكَاهُ لَهُمْ صَرَفَهُ إِلَى الْكِنَائِسِ، وَإِلَى السَّلَاحِ الَّذِي يُقَاتَلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، أَوْ أَبْقَوْهُ عِنْدَهُمْ وَنَمَا بِهِ رِبَاهِمُ؛ فَنَقُولُ إِنَّنَا مُخَاطَبُونَ بِشَيْءٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِمَا خَوَّطَنَا بِهِ، وَالنَّتَائِجُ لَيْسَتْ إِلَيْنَا؛ ثُمَّ إِنَّنَا نَقُولُ: هَذِهِ الْفَائِدَةُ الَّتِي يَسْمُونَهَا «فَائِدَةٌ» هَلْ هِيَ قَدْ دَخَلَتْ فِي

أموالنا حتى نقول: إننا أخرجنا من أموالنا ما يستعين به أعداؤنا على كفرهم، أو قتالنا؟
والجواب: أن الأمر ليس كذلك؛ فإنَّ هذه الزيادة التي يسمونها «فائدة»
ليست نماءً أموالنا؛ فلم تدخل في مُلْكنا؛ ثم إننا نقول له: إذا أخذته فأين تصرفه؟
قال: أصرّفه في صدقة؛ في إصلاح طُرُق؛ في بناء مساجد تخلّصاً منه، أو تقرباً به؛
نقول له: إن فعلت ذلك تقرباً لم يُقبل منك، ولم تسلّم من إثمه؛ لأنك صرفته
في هذه الحال على أنه مُلْكك؛ وإذا صرفته على أنه ملكك لم يُقبل منك؛ لأنه
صدقةٌ من مالٍ خبيث؛ ومن اكتسب مالاً خبيثاً فتصدّق به لم يُقبل منه؛ لقول
النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)؛ وإن أخرجته
تخلّصاً منه فأبي فائدةٍ من أن تُلطّخ مالك بالخبيث، ثم تُحاول التخلّص منه؛ ثم
نقول أيضاً: هل كل إنسان يضمن من نفسه أن يُخرج هذا تخلّصاً منه؟! فربّما
إذا رأى الزيادة الكبيرة تغلبه نفسه ولا يخرجها؛ أيضاً: إذا أخذت الربا، وقال
الناس: إن فلاناً أخذ هذه الأموال التي يسمونها الفائدة؛ أفلا تخشى أن يقتدي
الناس بك؟! لأنه ليس كل إنسان يعلم أنك سوف تُخرج هذا المال وتتخلّص منه.

ولهذا أرى أنّه لا يجوز أخذ شيءٍ من الربا مطلقاً؛ لقوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾؛ ولم يوجّه العباد إلى شيءٍ آخر.

٥. فضيلةُ العِلْمِ، وأنَّ العِلْمَ يهْدِي إِلَى الْخَيْرِ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾.



الآيات (٢٨٢-٢٨٣) (١)

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَانِئٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴿٢﴾ .

من فوائد الآيات (٣):

مجموعة (أ):

١. وجوب كتابة الدين المؤجل؛ لقوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾؛ ويؤيد ذلك

(١) استخرج الشيخ رحمه الله ٥٧ فائدة من آية الدين (المذكور هنا ١٤ فائدة فقط).

(٢) غريب الكلمات: «وَلَا تَسْأَمُوا»: ولا يُصَبِّحُ الممل؛ «أَقْسَطُ»: أعدل؛ «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ»: رهناً

يقبضه صاحب الحق. (المختصر)

(٣) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/٤١٠).

قوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾، وذهب الجمهور إلى عدم وجوب الكتابة - أعني كتابة الدين المؤجل -؛ لقوله تعالى في الآية التي تليها: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فُلْيُودِ الَّذِي أُوْتِيَ مِنْ أَمَلْتُهُ﴾؛ وينبغي على هذا القول أن يُستثنى من ذلك ما إذا كان الدائن متصرفاً لغيره؛ كوليّ اليتيم فإنه يجب عليه أن يكتب الدين الذي له لئلا يضيع حقه.

٢. بيان أن الدين الإسلامي كما يعتني بـ «العبادات» - التي هي معاملة الخالق - فإنه يعتني بـ «المعاملات» - الدائرة بين المخلوقين -.

٣. أنه يجب على الكاتب أن يكتب بالعدل؛ بحيث لا يُجحف مع الدائن ولا المدين؛ و«العدل»: هو ما طابق الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ويتفرغ على ذلك أن يكون الكاتب ذا علم بالحكم الشرعي فيما يكتب.

٤. تحريم امتناع الكاتب أن يكتب كما علمه الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾؛ ولهذا أكد هذا النهي بالأمر بالكتابة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾؛ هذا ظاهر الآية؛ ويحتمل أن يقال: إن توقف ثبوت الحق على الكتابة، كانت الكتابة واجبة على من طلبت منه؛ وإلا لم تجب؛ كما قلنا بوجوب تحمّل الشهادة إذا توقف ثبوت الحق عليها.

٥. أن الإنسان لا يستقلّ بالعلم؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾؛ حتى في الأمور الحسّية التي تدرك عن طريق النظر أو السمع أو الشم؛ لا يستطيع الإنسان أن يعلمها إلا بتعليم الله عزّ وجلّ.

٦. أن الرجوع في مقدار الدين أو نوعه أو كَيْفِيَّتِهِ؛ بل في كُلِّ ما يتعلَّق به، إلى «المدين» الذي عليه الحق - لا إلى الدائن -؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾؛ لَأَنَّهُ لو أَمَلَّ الذي له الحق فربَّما يزيد.

ولكن إذا قال قائل: وإذا أملى الذي عليه الحق فربما ينقص؟!
فالجواب: أن الله حذَّره من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾.

٧. أَنَّهُ لا بدَّ في الشاهدين أن يكونا مَرَضِيَّين عند المشهود له والمشهود عليه.
٨. أن الدين الإسلامي شاملٌ للأحكام المتعلقة بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، والمتعلِّقة بمعاملة عباد الله؛ لَأَنَّهُ بعد أن ذَكَرَ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هذه التوجيهات قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾؛ فيكون في ذلك إبطالٌ لِرِزْمٍ من زَعَمَ أن الدين الإسلامي في إصلاح ما بين العبد وبين ربه ولا علاقة له بالمعاملة بين الناس.

٩. أن الأصل في الإنسان الجهل؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

١٠. أن كَتَمَ الشهادة من الكبائر؛ لوجود العقوبة الخاصة بها؛ وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ إِثْرٌ قَلْبُهُ﴾.

مجموعة (ب):

١. أن التزام هذه الأحكام من مقتضى الإيمان؛ لَأَنَّهُ لا يُوجِبُ الخطاب بوصف؛ إلا لمن كان هذا الوصف سبباً لقبول ذلك الحكم.

٢. **أن مخالفة هذه الأحكام نقص في الإيمان؛** كأنه قال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لإيمانكم افعلوا كذا؛ فإن لم تفعلوا في إيمانكم ناقص؛ لأن كل من يدعي الإيمان ثم يخالف ما يقتضيه هذا الإيمان فإن دعواه ناقصة؛ إما نقصاً كلياً أو نقصاً جزئياً.

٣. **قصر حفظ المرأة وإدراكها عن حفظ الرجل؛** وهذا باعتبار الجنس؛ فلا يرد على ذلك من نبوغ بعض النساء وغفلة بعض الرجال.

٤. **أنه ينبغي للإنسان أن يتجنب كل ما يكون له فيه ارتياب وشك؛** لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْآتِرَابُوا﴾.

ويتفرع على هذه الفائدة أن دين الإسلام يريد من معتقيه أن يكونوا دائماً على اطمئنان وسكون.

ويتفرع أيضاً منها أن دين الإسلام يحارب ما يكون فيه القلق الفكري، أو النفسي؛ لأن الارتياب يوجب قلق الإنسان واضطرابه. ويتفرع عليه أيضاً أنه ينبغي للإنسان إذا وقع في محل قد يُستراب منه أن ينفي عن نفسه ذلك، وربما يؤيد هذا الأثر المشهور: «رحم الله امرئ كَفَّ الغيبة عن نفسه»^(١)؛ لا تقل: إن الناس يُحسنون الظنَّ بي، ولن يرتابوا في أمري؛ لا تقل هكذا؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ فربما لا يزال يُوسوس في صدور الناس حتى يتهموك بما أنت منه بريء.



(١) ذكره العجلوني في كتاب «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» بلفظ «رحم الله امرءاً جَبَّ الغيبة عن نفسه»، ولم يذكر أصلاً لهذا الأثر. (تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: الفاتحة - البقرة، ص ٤١٨).

الآيات (٢٨٤-٢٨٦)

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴿١﴾

من فوائد الآيات (٢):

مجموعة (أ):

١. **عمومُ مُلْكِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛** لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ وليس معلوماً لنا سوى السماوات والأرض؛ ويدخل في السماوات: الكرسي، والعرش، والملائكة، وأرواح بني آدم التي تكون في السماء، كأرواح المؤمنين في الجنة؛ لأنَّ المراد بذلك كل ما علا؛ بل ويشمل ما بين السماء والأرض من الأفلاك، والنجوم، وغير ذلك؛ لأنها داخلة في السماوات؛ لأنَّها في

(١) غريب الكلمات: «وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا»: وَلَا تَكُلِّفْنَا مَا يَشِقُّ عَلَيْنَا وَلَا نُطِيقُهُ. (المختصر)

(٢) «تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين» (الفاتحة - البقرة)، دار ابن الجوزي: (٣/٤٣٥).

جَهَّتْهَا، ويدخلُ في الأرض: العاقل وغير العاقل؛ فيشمل بني آدم والجن، ويشمل الحيوانات الأخرى، ويشمل الأشجار، والبحار، والأنهار، وغير ذلك.

٢. **إثباتُ أن العبد يُحاسب على ما في نفسه؛ وظاهره العموم؛ لقوله تعالى:**

﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾؛ **ولكن جاءت النصوص**

الأخرى بالتفصيل في ذلك على النحو التالي:

الأول: أن يكون ما يَطْرَأُ على النفس وسَاوِسَ لا قرارَ لها ولا ركونَ إليها؛ فهذه لا تَضُرُّ؛ بل هي دليلٌ على كمال الإيمان؛ لأنَّ الشيطان إذا رأى من قلب الإنسان إيماناً و يقيناً حاول أن يُفْسِدَ ذلك عليه؛ ولهذا لما شكَّ الصحابة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجدونه في أنفسهم من هذا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(١)؛ وفي حديثٍ آخر: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»^(٢).

الثاني: أن يهَمَّ بالشيء المحرَّم أو يعزم عليه ثم يتركه؛ وهذا أنواع: النوع الأول: أن يَتْرُكَهُ اللهُ؛ فيُثَابَ على ذلك، كما جاءت به السُّنَّةُ فيمن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها أنها تُكْتَبُ حسنةً كاملةً؛ قال الله تعالى: «لأنه تركها من جرَّائي»^(٣)؛ أي من أجلي.

النوع الثاني: أن يهَمَّ بها، ثم يتركها عِزْوفاً عنها؛ فهذا لا لَهُ ولا عَلَيْهِ؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (١٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٢)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

النوع الثالث: أن يتمناها، ويحرص عليها؛ ولكن لا يعمل الأسباب التي يُحصِّلها بها؛ فهذا يُعاقب على نِيَّتِهِ دون العقاب الكامل، كما جاء في الحديث في فقيرٍ تمنَّى أن يكون له مثل مالٍ غنيٍّ كان ينفقه في غير مرضاة الله؛ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُوَ بِنِيَّتِهِ»؛ «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ»^(١).

النوع الرابع: أن يعزِمَ على فعل المعصية، ويعمل الأسباب التي توصل إليها؛ ولكن يعجز عنها؛ فعليه إثم فاعلها؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بِالْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(٢).

٣. **أَنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ لَيْسَ فِيهِ تَفْرِيقٌ؛ لَا تَقُولُ مِثْلًا: نُوْمِنُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُوْمِنُ بِعَيْسَى لِأَنَّ عَيْسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ نَحْنُ لَا نَفْرُقُ بَيْنَ الرُّسُلِ؛ وَقَدْ سَبَقَ لَنَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا نَفْرُقُ﴾^(٣).**

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٤)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٣) من تفسير الشيخ رَحْمَةُ اللهِ لَلْآيَةِ ١٣٦ من سورة البقرة: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يجبُ الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، على حدٍّ سواء في أصل الإيمان؛ وأما الشرائع فلكلِّ منهم جعل اللهُ شريعةً ومنهاجاً؛ كما قال اللهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]؛ فنحن مأمورون باتباع شريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي نَسَخَتْ جميع الأديان؛ أمَّا في الإيمان بأنَّهم رُسُلٌ من عند اللهِ، وأنَّهم صدقوا بما جاءوا به فإنَّا لا نفرق بين أحدٍ منهم؛ لقوله تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال في تفسير هذه الآية: يقول هؤلاء المؤمنون «لا نفرق» بقلوبنا وألسنتنا =

٤. **أن من صفات المؤمنين «السمع والطاعة»**؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١-٥٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يسمع، ولا يطيع؛ بل هو معرض؛ لم يرفع لأمر الله ورسوله رأساً.

القسم الثاني: من يسمع، ولا يطيع؛ بل هو مستكبر؛ اتخذ آيات الله هزواً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا عَلَيْهِمْ مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا يَسْمَعُهَا كَآتٍ فِي أذُنَيْهِ وَقَرَّٰ قَبْسُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٧]، وكقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]؛ وهذا أعظم جرمًا من الأول.

القسم الثالث: من يسمع، ويطيع؛ وهؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وقال الله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

= «بين أحدٍ من رسله»؛ فالكل عندنا حق؛ فمحمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق فيما جاء به من الرسالة، وعيسى بن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق، وموسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق، وصالح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق، ولوط صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق، وإبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق... وهكذا؛ لا نُفَرِّقُ بينهم في هذا الأمر -أي في صدق رسالتهم-، والإيمان بهم؛ ولكن نُفَرِّقُ بينهم فيما كُلفنا به: فنعمل بشريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥. إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم؛ وهي: «لا واجب مع العجز؛ ولا مُحَرَّم مع الضرورة»؛ لكن إن كان الواجب المعجوز عنه له بَدَلٌ، وَجَبَ الانتقال إلى بَدَلِهِ؛ فَإِنْ لم يكن له بَدَلٌ سَقَطَ؛ وَإِنْ عَجِزَ عن بَدَلِهِ سَقَطَ؛ مثال ذلك: إذا عجز عن الطهارة بالماء سقط عنه وجوب التَّطَهُّر بالماء؛ لكن ينتقل إلى التيمم؛ فَإِنْ عجز سقط عنه التيمُّم أيضاً؛ مثال ذلك: شخص محبوس مكبَّل لا يستطيع أن يتوضأ ولا أن يتيمم: فَإِنَّهُ يَصَلِّي بلا وضوء ولا تيمُّم؛ مثال آخر: رجل قَتَلَ نفساً معصومةً خطأً: فعليه أن يُعْتِقَ رقبة؛ فَإِنْ لم يجد فعليه أن يصومَ شهرين متتابعين؛ فَإِنْ لم يستطع سقطت الكفَّارة؛ مثالٌ ثالث: رجلٌ جامعَ زوجته في نهار رمضان: فعليه أن يعتق رقبة؛ فَإِنْ لم يجد فعليه صيامُ شهرين؛ فَإِنْ لم يستطع فعليه إطعامُ ستين مسكيناً؛ فَإِنْ لم يجد فلا شيء عليه.

ومثال سقوط التحريم مع الضرورة: رجلٌ اضْطُرَّ إلى أَكْلِ المَيْتَةِ؛ بحيث لا يجد ما يَسُدُّ رَمَقَهُ سوى هذه المَيْتَةِ: فَإِنَّهُ يَحِلُّ له أَكْلُهَا، وهل له أن يشبع، أو يقتصر على ما تَبَقِيَ به حياته؟

والجواب: إن كان يَرجو أن يَجِدَ حلالاً عن قُرْب، فيجب أن يقتصر على ما يَسُدُّ رَمَقَهُ؛ وإن كان لا يَرجو ذلك فله أن يشبع، وأن يتزوَّد منها - وأن يحمل معه منها - خَشْيَةَ أَنْ لا يجد حلالاً عن قرب.

ومعنى الضرورة: أَنَّهُ لا يمكن الاستغناء عن هذا المحرَّم؛ وَأَنَّ ضرورته تَنَدِفُ به؛ فَإِنْ لم تندفع فلا فائدة؛ مثال ذلك: رجلٌ ظَنَّ أَنَّهُ في ضرورة إلى التداوي بمحرَّم؛ فأراد أن يتناوله: فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ له ذلك، لوجوه:

الأول: أن الله حرّمه؛ ولا يمكن أن يكون ما حرّمه شافياً لعباده، ولا نافعاً لهم.
الثاني: أنه ليس به ضرورة إلى هذا الدواء المحرّم؛ لأنه قد يكون الشفاء في غيره، أو يُشْفَى بلا دواء.

الثالث: أننا لا نعلم أن يحصل الشفاء في تناوله؛ فكَم من دواءٍ حلالٍ تداوى به المريض ولم ينتفع به؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَبَّة السوداء: «شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ»؛ يعني الموت^(١)؛ فهذه مع كَوْنِهَا شفاءً، لا تمنع الموت؛ ولذلك لو أُضْطِرُّ إلى شُرْبِ خَمْرٍ لِدْفَعِ لُقْمَةٍ غَصَّ بِهَا جاز له ذلك؛ لأنَّ الضرورة محقّقة، واندفاعها بهذا الشراب محقّق.

الخلاصة الآن: أخذنا من هذه الآية الكريمة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

قاعدتين مُتَّفَقًا عليهما؛ وهما:

١. لا واجب مع العجز.
٢. ولا محرّم مع الضرورة.
٣. **أَنَّ لِلْإِنْسَانَ طَاقَةً مَحْدُودَةً؛** لقوله تعالى: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ فالإنسان له طاقةٌ محدودة في كل شيء؛ في العلم، والفهم، والحفظ؛ فيكَلِّفُ بحسب طاقته.
٤. **أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كَسَبٌ؛ وَأَنَّ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ عُرْمٌ؛** وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَهَا﴾، ومن قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ فإن «على» ظاهرةٌ في أَنَّهَا عُرْمٌ، و«اللام» ظاهرةٌ في أَنَّهَا كَسَبٌ.
٥. **أَنَّ النِّسْيَانَ وَارِدٌ عَلَى الْبَشَرِ، وَالخَطَأُ وَارِدٌ عَلَى الْبَشَرِ؛** وجهه: قوله

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٧)، ومسلم (٢٢١٥).

تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، فقال الله تعالى: «قَدْ فَعَلْتُ»^(١)؛ وهذا إقرارٌ من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على وقوع النسيان والخطأ من البشر. فإذا قال قائل: ما الحكمة من أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل البشر ينسى ويخطئ؟ فالجواب: ليتبين للإنسان ضَعْفُهُ وَقُصُورُهُ: ضعفه في الإدراك، وضعفه في الإبقاء، وفي كل حال؛ وليتبين بذلك فضل الله عليه بالعلم، والذاكرة، وما أشبه ذلك؛ وليعرف الإنسان افتقاره إلى الله عَزَّجَلَّ في دعائه في رفع النسيان والجهل عنه؛ فيلجأ إلى الله عَزَّجَلَّ، فيقول: «رب علمني ما جهلت، وذكّرني ما نسيت»، وما أشبه ذلك.

٦. امتنانُ الله على هذه الأمة برفع الآصار التي حملها من قبلنا؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، فقال الله تعالى: «قَدْ فَعَلْتُ»^(٢).

٧. أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى العافية فلا يُحْمَلْ ما لا طاقة له به؛ ففيه ردٌّ على الصُوفِيَّة الذين قالوا: نحن لا نسأل الله تعالى أن يقينا ما يشقُّ علينا؛ لأننا عبيده؛ وإذا حصل لنا ما يشقُّ فإننا نصبر عليه لنكسب أجراً. مجموعة (ب):

١. أن الله لا شريك له في ذلك المُلك؛ يُستفاد ذلك من تقديم الخبر الذي حقه التأخير؛ وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر؛ و«الحصر»: إثبات الحُكْم في المذكور، ونَقْيُهُ عَمَّا سِوَاهُ.

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٢) المرجع السابق.

٢. **أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُصْرِحْ بِالْمَعَاقِبَةِ؛ وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ «الْمُؤَاخَذَةَ»؛** لقوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾؛ ويؤيده ما ثبت في الصحيح: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَخْلُو بَعْدَهُ الْمُؤْمِنُ، فيقرِّره بذنوبه، ويقول: «عملت كذا في يوم كذا» حتى يُقَرَّ؛ فإذا رأى أنه قد هلك يقول الله عَزَّجَلَّ: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»^(١).

٣. **أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ؛** لقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾؛ والمُنزَل هو الوحي؛ والكلام وصفٌ لا يقوم إلا بمتكلم؛ لا يمكن أن يقوم بنفسه؛ وعلى هذا يكون في الآية دليلٌ على أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ؛ الوحي الذي أُنزِلَ على محمد صلى الله عليه وسلم.

٤. **إِثْبَاتُ عِلْوِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؛** لأنَّ النزول لا يكون إلا من أعلى؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾.

٥. **أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَبِعُوا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛** لقوله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛ وجه التبعية: أَنَّهُ ذَكَرَ مَا آمَنَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَذَكَرَ التَّابِعَ؛ يعني ما قال: «آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه»؛ وهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا يَسْتَقِلُّونَ بِشَرِيعَةٍ دُونَهُ.

٦. **بَيَانُ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ؛** حيث لا يُكَلِّفُهُمْ إِلَّا مَا اسْتَطَاعُوهُ؛ ولو شاء أن يُكَلِّفَهُمْ مَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا لَفَعَلَ.

فإذا قال قائل: كيف يفعل وهم لا يستطيعون؟ وما الفائدة بأن يأمرهم بشيء لا يستطيعونه؟

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

فالجواب: أَنَّ الفائدةَ أَنَّهُ لو كلفهم بما لا يستطيعون، وعجزوا، عاقبهم على ذلك؛ وهذه قاعدة عظيمة من أصول الشريعة؛ ولها نظائر في القرآن، وكذلك في السُّنَّة.

٧. أَنَّهُ ينبغي للإنسان أن يتوسَّل في الدعاء بالوصف المناسب، مثل الربوبية -التي بها الخَلْق والتدبير-؛ ولهذا كان أكثر الأدعية في القرآن مُصدَّرةً بوصف الربوبية، مثل: «ربنا»، ومثل: «ربِّ».



تم .. والله الحمدُ والمِنَّةُ، فإن أصبت، فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي
والشيطان ..

ربِّ اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	٦.....
مقدمّة.....	٧.....
الآيات (١-٥).....	١٢.....
الآيات (٦-٧).....	١٤.....
الآيات (٨-٢٠).....	١٦.....
الآيات (٢١-٢٥).....	٢٠.....
الآيات (٢٦-٢٩).....	٢٣.....
الآيات (٣٠-٣٣).....	٢٧.....
الآيات (٣٤-٣٩).....	٣٠.....
الآيات (٤٠-٤٦).....	٣٣.....
الآيات (٤٧-٥٧).....	٣٧.....
الآيات (٥٨-٦١).....	٤١.....
الآيات (٦٢-٦٦).....	٤٥.....
الآيات (٦٧-٧٤).....	٤٨.....
الآيات (٧٥-٨٢).....	٥٢.....
الآيات (٨٣-٨٦).....	٥٦.....
الآيات (٨٧-٩٠).....	٥٩.....
الآيات (٩١-٩٣).....	٦٣.....

- ٦٥ الآيات (٩٦-٩٤)
- ٦٧ الآيات (١٠٣-٩٧)
- ٧٢ الآيات (١١٣-١٠٤)
- ٧٨ الآيات (١١٩-١١٤)
- ٨٢ الآيات (١٢٣-١٢٠)
- ٨٤ الآيات (١٣٤-١٢٤)
- ٩١ الآيات (١٤١-١٣٥)
- ٩٥ الآيات (١٥٠-١٤٢)
- ١٠٣ الآيات (١٥٧-١٥١)
- ١٠٧ الآيات (١٦٣-١٥٨)
- ١١٢ الآيات (١٦٧-١٦٤)
- ١١٤ الآيات (١٧٣-١٦٨)
- ١٢٠ الآيات (١٧٦-١٧٤)
- ١٢٣ الآيات (١٧٩-١٧٧)
- ١٣٢ الآيات (١٨٢-١٨٠)
- ١٣٤ الآيات (١٨٨-١٨٣)
- ١٤١ الآيات (١٩٥-١٨٩)
- ١٤٥ الآيات (٢٠٣-١٩٦)
- ١٥١ الآيات (٢٠٧-٢٠٤)
- ١٥٤ الآيات (٢١٤-٢٠٨)

- الآيات (٢١٥-٢٢٠) ١٦٠
- الآيات (٢٢١-٢٢٤) ١٦٦
- الآيات (٢٢٥-٢٣٢) ١٧١
- الآيات (٢٣٣-٢٤٢) ١٧٨
- الآيات (٢٤٣-٢٥٢) ١٨٤
- الآية (٢٥٣) ١٩٠
- الآيات (٢٥٤-٢٥٧) ١٩٢
- الآيات (٢٥٨-٢٦٠) ١٩٧
- الآيات (٢٦١-٢٦٥) ٢٠١
- الآيات (٢٦٦-٢٧٤) ٢٠٦
- الآيات (٢٧٥-٢٨١) ٢١٥
- الآيات (٢٨٢-٢٨٣) ٢٢١
- الآيات (٢٨٤-٢٨٦) ٢٢٥
- فهرس الموضوعات ٢٣٤

